

UC-NRLF



B 4 020 151

U. C. BERKELEY LIBRARIES



C047004397

639455

UNIVERSITY OF CALIFORNIA LIBRARY

OTTO HARRASSOWITZ
BUCHHANDLUNG
LEIPZIG

UNIVERSITY OF CALIFORNIA LIBRARY
BERKELEY

Return to desk from which borrowed.
This book is DUE on the last date stamped below.

Sep 4 '48 GR

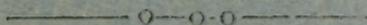
JUL 11 1982 34

REC. CIR. SEP 9 '82

LD 21-100m-9,47 (A5702s16)476

THE TRADE OF IRAQ

In Ancient and Modern Times



Six Lectures Given

By

J. R. GHANIMA

Member of the Administrative and
Educational Councils.

Printed at Al Iraq Press, Baghdad

1922

اكبر واشهر مكتبة في العاصمة

المكتبة المصرية

• لصاحبها •

(محمود حلمي)

بغداد - سوق السراي

فيها من كتب العربية والفارسية والانكليزية والفرنساوية
وغيرها ما يحتاج اليه الم والمتعلم والاديب والشاعر من كتب
تاريخ وانشاء وقواميس ودواوين شعرية وحقوق وشرائع وحساب
وكتب طيبة وروايات مختلفة جديدة والمكتبة مستعدة لارسال
الكتب الى الخارج باسرع وقت وفيها وكالة اكبر واشهر المجلات
العربية كالنهار والهلال والسيدات واكثر المجلات الانكليزية
المصورة ووكيل لحفر انواع الكليشات والقوغمرافات والناوين
وغيرها . وستنشر قائمتها الجديدة في ال محرم . وصاحبها مستعد
للاتفاق مع المؤلفين بطبع كتبهم في مصر على حساب المكتبة
او على حسابهم .

“The German Road to the East” by Evans Lewin

مقالات كتبت في مجلة لغة العرب في بغداد

✂ ماخذ المحاضرة الخامسة ✂

مفكرتي منذ الحرب العامة

“Review of the Civil Administration of Mesopotamia” prepared by Miss Gertrude L. Bell C.B.E.

“A Compilation of Mesopotamia Customs Statistical Returns, up to 31st December 1919”

“Customs Administration Report For the Year 1920”
published by the Department of Customs and
Excise, Baghdad

“Iraq Trade Journal and Bulletin of Statistics”
Vol 1. No. 1.

ملاحظة

نظراً الى اشغال اعترضتني لم آتكم كمن من تصحيح بعض مسودات
الطبع فوقع فيها اغلاط مطبعية لا تتحق على المطالع اللبيب .

عمادى تاريخى احمد ولهم

رحلة من العراق الى انكلترا فى القرن الثالث عشر

مقالة نشرت لى فى مجلة المقطف

"Remarques sur les mots francais derives de l'Arabe" H. Lammens S. J.

"The World's History" edited by Dr. H. F. Helmolt.
"L'Eglise et l'Orient au Moyen Age" par Louis Brehier.

"By Nile and Tigris" E. A. Wallis Budge.

"Voyage en Arabie" par. F. Niebuhre.

"A voyage up the Persian Gulf and a Journey
Overland from India to England in 1817" by
Lt William Heude

"Histoire de Bagdad. Dans les Temps Modernes"
Clement Huart

✦ ما أخذ المحاضرة الرابعة ✦

"Mesopotamia. Handbook" prepared under the
Historical Section of the Foreign Office.

"La Turquie d'Asie" Cuinet

"By Nile and Tigris" E. A. Wallis Budge .

"The World's History" edited by Dr. H. F. Helmolt.

تجارب الامم لابن مسكويه

مقدمة ابن خلدون

المختصر لابن سيده

بلوغ الارب في احوال العرب للسيد شكري الآلوسى

حضارة الاسلام في دار السلام جميل نخله مدور

التجارة في عهد العباسيين مقالة نشرت لى في مجلة الهلال

“La Republique Marchande de la Mecque vers l’an 600 de notre Ere” par R. P. H. Lammens

“Les Grosses Fortunes de la Mecque au Siecle de l’Hegire” par ibid.

“Tair” par ibid

“Histoire des Arabes” par Percevel.

“Histoire des Arabes” Gustave Le Bon.

“The Lands of the Eastern Caliphate” Le Strange.

✽ ما أخذ المحاضرة الثالثة ✽

مختصر تاريخ الدول لابن العبري

كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور لابن عرب شاه

"Great Monarchies" by Rawlinson.

"Phoenicia" by Rawlinson

﴿ مَا خذ المحاضرة الثانية ﴾

نهج البلاغة للإمام علي ابن ابي طالب

تاريخ الامم والملوك للطبري

تاريخ الكامل لابن الاثير

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي

كتاب المسالك والممالك لابن خردادبة

كتاب الاغانى للإمام ابي الفرج الاصبهاني

صفة جزيرة العرب للهمداني

معجم البلدان لياقوت الحموي

مروج الذهب للمسعودي

الف ليلة وليلة

رحلة ابن بطوطة

ابن حوقل

✽ ما أخذ الكتاب ✽

تنيه - كنت اود ان اذيل كل صفحة من صفحات هذا الكتاب بالإشارة الى ما خذ نصوصها وفقاً للعادة المتبعة في التأليف القيمة الا ان اسبابا مطبعية حالت دون تحيقي رغبتى فاجتزأت بذكرها مجملا في هذا الفصل عمـلا بالمثل القائل ما لا يدرك كله لا يترك جله ،،

✽ ما أخذ المحاضرة الاولى ✽

كتاب المقدس العهد القديم
مقالتي في تجارة العراق في عهد البابليين والآثوريين
مقالتي في تجارة العراق في عهد الفرس والمآذيين في مجلة مرآة العراق
مقالتي في اول بنك في العالم وضيفة دار السلام
فتوح الشام للواقدي

“Encyclopaedia Biblica” edited by Gheyne and Black, see Trade and Commerce.

“History of Persia” Lt Col. P. M. Sykes.

“Histoire des Peuples Anciens de l’Orient” par Lenorment.

تجاري اذ لم نعرف ان الغربيين يتعاونون منا حتى نهونا على الامر
فانقبتنا وباذلناها معهم بالاصفر الرنان والابيض الفتان .

وفي البلاد غير هذه الاشياء من المواد الاولية التي نصيبها اليوم من
الاهمال ما كان نصيب الاشياء التي ذكرناها آنفا قبل نصف قرن .

ولتنشيط الصادرات وانعاشها طرقتي ينبغي لنا ان نسير فيها

ووسائل حجة يجب علينا ان تدرع بها . اهمها معرفة اسواق العالم

معرفة واسعة . وحصول تجارنا على الثقة التجارية والمالية واخفاض

سعر كلفة بضائعنا والوقوف على طرق النشر والاعلان .

وتأليف الشركات الكبرى التي تحمل صدمات المزاومة .

وسـيكون شأن كبير لصادرات بلادنا ان تم مشروع الري

وكثرت الزراعة في بلادنا واستخرجت المعادن من مكامنها وسال

الزيت الى اسواق العالم .

وسـيكون مستقبل تجارة العراق زاهياً زاهراً ان عرف

القوم من اين تؤكل الكتف ووقفوا وقفة خير قد عرك الدهر

وعركه وهياوا العدد لانزال في معترك المزاومة والنزاع الاقتصادي

وفق الله الرجال الى مابه خير الاوطان والسلام .

المعول عليه .

اما تمور البصرة فتوزن بالكاراة وهى عبارة عن ٤٠ مناً .
لواردت ان اتوسع فى درس الاوزان والمقاييس فى العراق
لافضى بى الامر الى كتابة فصل مطول عن اساليبها ومحاذيرها
فاكتفى بما ذكر وانهمض همم ارباب الحل والعقد الى اصلاح الاوزان
والمقاييس وتوحيدها فى العراق على قاعدة سهلة المأخذ .

١١ السعى الى اكثار الصادرات

الصادرات ! تمثل قسماً غير نزر من ثروة البلاد وتزيد الحركة
التجارية نشاطاً . وقد يكون كثير من الامتعة فى البلاد ومن اعضاء
الحيوان وفصائل النبات تطرح فى زوايا الطرق حتى يتورها الفناء
وتدوسها الارجل او تدفن فى الارض او تبقى مهمولة فى منابها
ومزارعها لا يعبأ بها ولا يعتد بفائدتها التجارية . ولو فكر الناس
لعلموا ان لها سوقاً رائجة فى بلاد غير بلادهم .

خدمثاللقولى عرق السوس والخنظل وامعاء الغنم (مصارينها)
ودم الحيوانات واظلافها وريش الطيور لزينة القبعات واشياء شتى
وغيرها وكانت هذه كلها قبل عقود من السنين لا ينتفع منها نفع

تسترعى الانتباه وتولد الدهش والجب . ففي اسواقنا معرض
 لانواع الميار والذراع . فاذا كنت غريباً وساومت احد الباعة
 يجب ان تعرف ان كان ذلك المتاع يباع بالذراع الصغير (ذراع
 حلب) او بالذراع الكبير (ذراع اسطنبول) او بذراع الشاه
 او بالتر او باليردة .

واذ كانت حاجتك مما يباع بالوزن يجب ان تعرف ان كانت
 تباع «بالحقة العشارى» او «بالحقة اسطنبول» او «بالحقة الكبيرة» .

ويختلف المن البصرى عن المن البغدادى وعن المن التقي
 وتختلف وزنة بغداد عن وزنة الموصل . وهناك اساليب مختلفة
 فى وزن بعض البضاعات فخذ مثلاً وزن البن والسكر فى بغداد فى بيع
 الجملة فانك ان ساومت على سعر المن منهما فلا تفكر انك
 ستأخذ المن عن ستة حقق بل انما المن نحو ٧ حقق وقيمة
 واحدة ولهم طريقة غريبة فى ذلك فانهم يجمعون الوزن وكل ١٢ مناً
 يحسبونها عشرة امان . ولم يقف تفنن باعة العشبة والسكر الحبل
 الحجرى وغيرهم عن هذا الخدبل انهم يحسبون كل ١٢ مناً عشرة
 امان ثم يجرون هذه العملية مرة ثانية وما بقى من الوزن فهو

على تجارة العراق لعرف قيمة الاسراع بمد السكة الحديدية . من
طوروق الى البلاد الداخلية في ايران .

وقد كان البريطانيون مفكرين في مد هذه السكة لولم تخفق
مساعيهم في عقد المعاهدة البريطانية الايرانية . اما سكة الحديد
المتدة بين بغداد وشرقاط فهي ايضا لا تنفي بالمرام اذ ان البضائع
المشحونة الى الموصل تحتاج الى نقل على الدواب حتى تصل الى
مقر بيها .

الا ان الامل معقود على ان هذا النقص يزول وتتصل سكة
الحديد بالحدباء .

مهما حدث من تحسن في اسباب النقل منذ الحرب حتى اليوم
فاننا لانزال في حاجة قصوى الى خطوط حديدية غير الموجودة .
بينها من امهات الخطوط وبينها من الفروع . وعلى كل فان العراق
لاغنى له عن طريق يصله بمرافاً على بحر الروم (البحر المتوسط) وان
هذا الطريق يمر على بادية الشام .

١٠ اصلاح الاوزان والمقاييس وتوحيدها

ان مسألة الاوزان والمقاييس في العراق من المسائل التي

ما يؤيد هذا القول . فنكتفي بالإشارة إليها .

أما طرق البر فقد مر بنا في المحاضرة الخامسة ذكر الخطوط الحديدية الموجودة اليوم في العراق . إلا أن الخط المهم الذي يمتد من بغداد إلى منتهى حدود العراق في طوروق لا يفيد الفائدة المطلوبة فإن البضائع التي يرسل بها من العراق إلى إيران تنقل من هذه المحطة إلى كرمانشاه وسائر مدن فارس على ظهور الأبل والبغال والحمير . ولا يخفى ما في ذلك من المحاذير على البضائع من النهب والاعطب ولا سيما في الشتاء فإن مياه المطر تلفها . وقد شاهدت بأم رأسي في شتاء سنة ١٩٢١ أكداً من البضائع تعوم في مياه المطر المجمعة في محطة طوروق . وكانت مخزونة هناك للنقل إلى بلاد فارس على الحيوانات .

فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أعبّر عن رغبتي في تمديد هذا الخط إلى قلب بلاد فارس وإلى عاصمتها طهران . والأسراع في هذا الأمر يقيناً من مزاحمة طريق أخرى وأريد بها الطريق التي تمتد من إحدى مرافئ الإيرانية على خليج فارس إلى كرمانشاه وغيرها من المدن الإيرانية الداخلية . لوفكر أحد من العراقيين بهذا الخطر

البخارية سيراً منظماً . وقد حاولت غير واحدة من السفن ان تعتمد
 دجلة حتى الموصل في زمن الفيض فزها من نجحت ومنها من اخفت
 والتي نجحت لم تتمكن من الرجوع الى بغداد في زمن القيص .

اما الملاحه في الفرات هي ضيقة النطاق فلا تختر مياهه اسفن
 البخارية لانه لا يصلح لهذا الغرض . ويحتاج عقيقه الى حفرو تنصيف
 ولا يعزب عن ذهنكم ان نهر دياالى لا يفيد للملاحه الحديثه
 ملاحه البخار . ولا تسير فيه الا السفن الشراعية .

وان رجعنا الى البصرة ودرسنا الملاحه في شط العرب نرى ان
 الدكادك (البويات) في الفاو من اكبر العقبات في سير المراكب
 البحرية الكبيرة . فان معظم عمقه وقت الجزر ١١ قدماً . فالمرآك
 التي تطلب ماء يتجاوز عمقه هذا القدر تضطر الى انتظار المد او تعتمد
 الى تفريغ قسم من بضاعاتها في السفن الشراعية .

ومن حاجات البلاد ان تنشأ شركات تبساع مراكب بحرية
 او تستأجرها لنقل حاصلات البلاد الى الخارج . فان العدد المحدود
 من شركات مراكب البحر تنقضى جعالا (نولون) باهظاً .
 يكاد ان يقف حاجزاً منيعاً في سبيل الاصدار . ولدينا من الارقام

البيدة الشقة عن بلادنا .

قد رأينا في المحاضرة الرابعة وسائل النقل في مياه العراق من سفن بخارية وسفن شراعية واطواف وقفف وغيرها . واذ كانت السفن البخارية من أهم وسائل نقل التجارات فنحصر كلامنا فيها . ان سير السفن التجارية في دجلة منظم حتى بغداد ويرى طائفة منها تصل كل اسبوع اليها . وتسافر الى البصرة . ولكن الملاحة في دجلة لا تخلو من عقبات في زمن الفيض (الصيود) اذ يكون ماؤها ضحضا حافيا تبرز و آب ، وابلول فتجنح السفن وتبقى اياما في مكان واحد مهما تبذله طائفتها من الهم لتسييرها وقد يدوم السفر الواحد عشرين يوما بينما تقطع هذه المسافة في زمن الفيض بثلاثة ايام من الضرورة اذا ان اتخذ التدابير اللازمة لحفر عقيق النهر في الامكنة التي يكون ماؤها وشلا . وهناك مشكلة اخرى ينبغي النظر فيها وهي ان في النهر زوايا (دورات) تضطر السفن الى ان تدورها وتبقى ساعة او ساعات لنظمتها . فلو كان النهر يسير في خط مستقيم لتوفر الزمان على السفن ولاقتصدت شيئا غير يسير من القوة والنفقة .

والشقة التي بين بغداد والموصل من دجلة لا تصلح لسير السفن

الدراهم والدنانير . تريد ان تبيننا ما يكسد في اسواقها من الازياء
القديمة ونفاية البضاعات . وتستوفي ثمنها من صوف بلادنا النقي
وقمر العراق المرى .

فان فقهننا الحال واعتبرنا بالكلام الانكليزى المأثور القائل
« المال هو الاستقلال » علينا ان ننسج قماش استقلالنا فى مناوئ
حيا كنا ونفرغ دعامة فى قالب معاملنا ونطرقها على سندان اقيانا
علينا ان نشجع العامل الوطنى فى ابيعنا بممولات يده . علينا ان
نكتب صك استقلالنا فى مكتب تجارنا وفى مزارع فلاحينا . لا اذهب
الى ان الامر سهل ولا اجهل ان دون ذلك خرط القتاد
غيرانى من القائمين ان الجهاد ناموس الحياة وان فى الحركة بركة
والله ولى التوفيق .

تنظيم طرق المواصلة ووسائل النقل

فى العراق طرق عديدة للتجار فى داخل القطر وخارجه . وتقسم
قسمين كبيرين ١ : طريق الماء ٢ : طريق البر . اما طريق الماء
فهو منحصر فى دجلة والفرات وديالى وسواعدها حتى يفضى الى
خليج فارس يخرج العراق الوحيد الى البحار والبلاد الاجنبية والمرافىء

الحرير منهلاً جيداً لثروة البلاد ومرفقاً من مرافق الاقتصاد .
وقد اتت التجاريب بالتأعج الحسنة وأثبتت ان هواء العراق وجوه
يصلحان لهذه الغاية . كما ان تقارير ادارة الزراعة افادت ان بذور
الدود التي جلبت من بلغارية والصين انتجت حريراً جيداً غاية الجودة .
وهناك فصائل نباتية اخرى تنمو في ارض العراق ولزراعتها عندنا
فوائد تجارية ذات شأن .

اما الصنائع عندنا فتكاد ان تكون اسماً بلا مسمى . وهي
مقتصرة على نسج الازر والاعبئة والاقمشة النليظة ؛ ودبغ الجلود ؛
والصبغة ؛ وعمل الاحذية ؛ وصنع الفخار وشيء الطاباق . وبعض
ادوات اولية . وما خلا ذلك فاننا نطلب حاجياتنا وكالياتنا من الغرب
ونشترى ملبوسنا ؛ واثاث بيتنا ؛ ومحراثنا وبنديقتنا وارتنا وقلعنا
وكل ما محتاج اليه للعيش الشظف والترف من اسواق اوربة .

فان شاءت اوربة ان تقاطعنا في ارسال بضائعها الينا وبمها
سلمها علينا نبقى عمرة محرومين من وسائل الحضارة الحاضرة . ولكن
اوربة تريد ان تنفق نتاج مصانعها وتصرف امتعة معاملها . تريد
ان تبث لينا باقمشة الحرير ومنسوجات الصوف وتأخذ بدلها

غير اقطار . خذ القطن مثلاً فان زراعته عميقة في القدم في هذا القطر وقد ورد ذكره في الاسطوانات المكتشفة في اطلال بابل كما ذكره ثقات المؤرخين اليونان وقد دلت التجارب التي قام بها الزراعون على ان اراضى العراق بيئة صالحة لانتاج احسن انواعه تشهد بصحة ذلك التقارير التي اصدرتها ادارة الزراعة عندنا وغيرها من التقارير التي كتبها الشركات التجارية في الايام الاخيرة .

ولكن زراعة القطن ضيقة النطاق في هذه البلاد . وما هي الا في مهد طفولتها . فالى الاكثار منها توجه انظار من يهمل امر روية البلاد وزيادة الصادرات منها .

وليس القطن وحده من المواد التي عليها التعويل في زيادة الصادرات من البلاد بل هناك غيره من الفصائل النباتية التي تحقق هذه الغاية . مما لا يسعنا ان نسردها في هذه العجالة الموجزة كلها فنقتصر على الحث على زراعة التوت لتربية دود الحرير . وليس باليسير نجاح زراعته لاسيما على ضفاف الانهر والجداول التي تجري في الاراضى سيجاً . وسيكون لدود الحرير شأن في صادرات العراق ان بذل الاهلون مساعيهم في اتقان تربيته واكثروا منه فيصبح

يكون رأس ماله عولفاً من رؤوس اموال وضئية وانكليزية وادارته مفوضة الى لجنة مؤلفة من العراقيين والبريطانيين القومين اللذين يقومان رأس ماله .

٨ تحسين الزراعة والصناعة

عرف الناس شهرة زراعة العراق منذ القديم واجمع اهل البحث والتدوين ان هذا القطر زراعي قبل كل شيء ولم يقم العمران في هذه الديار منذ القرون الخالية الا لخصبها وجودة تربتها وحسن ربيها. مضت الاجيال ودالت الدول والعراق رجع القهقري بينما الامم الراقية قطعت شوطا بعيداً في سبيل الحضارة وسخرت العلم في سبيل رقي المرافق الاقتصادية .

يقولون ان برالعراق وشعيره لا يمدان من الصنف الاول من جنسهما وانما الاستوان مع حنطة اسير اليقه وشعيرها. ولو كانا من الجنس الفاخر لطبتهما اوروبية طلباً جماً ولفتح بابا واسماً لاصدارهما من هنا . فهل فكر احد ان يدرس هذه المسئلة الحيوية ويجد مضامين العيب فيصلحها وقد اثبت الاختبار ان كثيراً من الفصائل النباتية تزكو في هذه الارض لا بل تفوق حاصلاتها في جودة نوعها حاصلات

الهند وروثها . فالريّة التي هي اس العملة في بلادنا سكة هندية
 كيفما تكن مائة الهند تكن مائة العراق وكل تغير في سعر
 التحويل في المستعمرة البريطانية يكون له صدى في مائة العراق .
 بينما كان سعر الليرة الاسترلينية سبع ريات كان التاجر العراقي
 الذي يملك ثروة تناهز سبعين الف رية يعد مائة عشرة آلاف
 ليرة استرلينية ولما هبط سعر الريّة واصبح سعر الليرة الاسترلينية
 خمس عشرة رية هبطت ثروته الى اربعة آلاف وستمائة وستة
 وستين ليرة استرلينية . فهبوط سعر الريّة اهبط ثروة العراق نحو
 ٣٠٣ في المائة . فلو كانت وحدة المسكوكات ذهباً وخاصة بالعراق لما
 جرف هذا الهبوط ثروة العراقيين .

لانك ان دون تحقيق هذه الامنية موانع حجة وامور تستدعي
 انعام النظر فيها لاثبات قاعدة مكيّنة تقوم عليها النقود العراقية .
 واذ كان من المستحيل ضرب مسكوكات الذهب في الوقت
 الحاضر لاسباب حجة وان لا مندوحة عن ضرب نقود الورق ، وان
 تداول نقود الورق ورواجها متوقفان على الثقة المالية في الداخل
 والخارج فارتأى ان يمنح حق اصدارها الى البنك الاهلي الذي

اهلية فالتجار يستفيدون من ريع اشقاصه وسهامه . ومن التسهيلات التي يبذلها لنجاح مساعيهم التجارية . والتجار الوطنيون يسهلون العقبات في سبيل تقدم هذه المؤسسة وزيادة ارباحها لانها من مالهم تبت وبجدهم تسبق وتعود اليهم ثمارها وعليهم ترجع تبعة فشلها واخفاقها ولا يعسر علينا ان نؤسس مصرفا ونجمع رأس مال من بيتنا يبلغ مليون ليرة بليون سهم فيشترك بهذه المؤسسة جميع طبقات الناس .

وان للبنك الوطني والاهلي منزلة رفيعة لاتستغنى عنها دولة من الدول فيزيد ثقة الاجانب المالية بتجارنا ويكون مقدمة وطيدة لضرب المسكوكات واحداث النقود العراقية والبنك نوت العراق .

٧ النقود العراقية

لم نعرف دولة من الدول المستقلة ولم يكن لها نقود خاصة بها . وحتى ان المستعمرات الانكليزية كالهند لها مسكوكات تتداولها الايدي غير مسكوكات البلاد الاصلية وان النقود من مميزات استقلال الدول .

فمالية العراق في الوقت الحاضر وروية البلاد متعلقة كل التعلق بمالية

الاقتصادية . وان موقفنا الدولي المبهم اليوم لا ينشط ثقة اصحاب
 المصانع والمامل والتجار الاوربيين والاميريكيين بنا . فارى من
 منافعنا ان نسرع الى تقرير ميرانا وعقد معاهدة دولية سياسية تجارية
 مع احدى الدول الاوربية الكبرى المعروفة بصداقتها للعراقيين .
 بشرط ان لا تمس سلامة الدولة العراقية واستقلالها وسلطانها القومية .
 ان ما يدور اليوم في اندية السياسة عن المعاهدة البريطانية الراقية
 لا يفهم منه ان وزارتنا قد تطرقت الى ذكر مواد في نص المعاهدة
 ترمى الى نجاح تجارتنا واكثر صادرنا واذ لم تبرم حتى اليوم تلك
 المعاهدة فنوجه انظار وزارتنا المحترمة الى هذا الامر الخطير ونلتمس
 منها ان تفكر فيه وتضيف الى نص المعاهدة مواد تكفل نجاح
 تجارتنا وتوسعها .

٦ البنك الوطني

ان المصارف العاملة في العراق كلها مؤلفة من رؤوس اموال
 اجنبية . وليس للعراقيين مصرف واحد (بنك) مصطبغ بالصبغة
 الاهلية . ولا يخفى احد الفوائد المتقابلة التي يجنيها التجار
 الوطنيون والبنك الوطني ان تألف من رؤوس اموال اهلية واجنبية

ان ما قوله ليس من رجوم الغيب ولا من الخدسات والظنيات بل ان وقائع الاحوال اليومية تؤيد هذه الحقائق . فان انفاق الشركات الغربية في البصرة في تجارة التمور منذ السنة الماضية جعل هذه التجارة رهينة امرها فهي توزع ما تشاء من المقادير على التجار العراقيين فيكبسونها لحسابها وهي يتباعها منهم بسعر معين او تقبلها بالامانة . وترفض شحن المقادير التي تفيض عن المقرر المعلوم . واین يشحن تجارنا وشركات النقل داخلة في هذا الاتفاق .

هـ الامن العام

ان الامن العام من اجل المقاصد واحسن السبل المؤدية الى ازدهار التجارة وبض معين المرافق الاقتصادية . ونشر رؤوس الاموال وتداولها في البلاد للانتفاع منها . لا اقول ان حبل الامن مضطرب في هذا القطر ولكن الحالة الحاضرة قائمة على قاعدة ضعيفة الاساس مجهولة المصير لا يعلم متى يكون هويها . ولذا يحجم اصحاب رؤوس الاموال عن القيام بمشاريع مبتكرة او بتوسيع نطاق التجارة والاعمال .

ان لتقرير مصير العراق السياسي يداً عاملة في ترويح المرافق

العراقية في الموصل وان كان العراقيون قد اتبعوا سهاما من هاتين
الشركتين الا ان ادارتهما بيد الاجانب .

قد حاول الوظيفيون مراراً ان يجمعوا كلمتهم ورؤوس اموال
ويقدموا شركات مساهمة فحالت الحوائل دون تحقيق رغائبهم .

وعلى رأي ان لتدابير العراقيين وعدم اتفاقهم على ابعادة الغور اخصها
الجمود على القديم ؛ وفقدان روح الابتكار ، وضياح الثقة المتبادلة
بين الشركات ؛ ونزاع بعض المثريين الى السيطرة والنفوذ والرئاسة .

ان حكومة العراق الجديدة في موقف غير موقف البلاد في عهد
الأتراك . فان لم ننفقه حالنا ونعتمد الى تأيس الشركات المساهمة
لاستثمار مرافق ثروة بلادنا ونستفيد من رؤوس الاموال الوطنية
نضطر والحالة هذه الى ان نستعين برؤوس الاموال الاجنبية لاجراء
مرافق الثروة من تعدين العادن وكري الانهر . وانشاء خطوط
الحديد ؛ وشركة النقل والسفن والتراموايات الكهربائية لابل
نضيم التجارة التي بيدنا ويصبح تجارنا عمال التجار الغربيين . ويسيطر
علينا الغريب ويتحكم في رقابنا فتندم ولات ساعة ندم . ولاغرابه
في الامر فان الحياة جهاد لا يفوز الا المحدون .

فترك تحقيق هذه الامنية في ذمة من يهمه امر البلاد وينظر في حاجياتها
الاقتصادية نظرة محب مشفق .

٤ الشركات التجارية الكبرى

كانه قد قضى على العراقيين ان يجهلوا روح التضامن الاجتماعي
وفوائد توحيد القوى والاستفادة من رؤوس اموال صغيرة تجتمع
لغاية واحدة ومشروع واحد .

طف البلاد بوزر الديار فلا تجد الا عددا قليلا من شركات المفاوضة
(الكولسكتيف) وشركات المضاربة (كومانديت) ولم يعض على
حياتها الا عهدا قصيرا . فالشركات لا تدوم في هذا القطر بل سرعان
ما يتولد عند الشركاء التدابر والتنافر والاختلاف .

اما شركات المساهمة او الشركات المغفلة فلا تكاد تجد اكثر
من ثلاث شركات في كل انحاء العراق مؤلفة من رؤوس اموال وطنية
ومن لجنة ادارة وطنية واريد بها شركة الترامواي بين بغداد
والكاظمية ؛ وشركة الترامواي بين النجف والسكوفة . وشركة
السفن العربية بين البصرة وبندي . وفي العراق غيرها من الشركات
المساهمة وهي شركة الملاحة في الفرات ودجلة وشركة الزراعة

للاشتراك باعمال عظيمة بما لديهم من المال الزهيد .

فما حرى تجار العراق ان ينشؤا بورصة في عاصمة البلاد تكون
مقدمة لعقد الشركات الكبيرة وللقيام باعمال تجارية خطيرة .
ليس من الشين ان يعقد اليوم تجار العراق العقود الطائلة
وقوفاً في سوق من الاسواق او احدى دور القهوات . الا يدفعهم
حب النظام الى تشييد بناء فخم تعلق فيه الالواح المنبثة باسعار
التحاويل واهم اسعار البضاعات ؟ وتربطه اسلاك التلفون بالمعاهد
المالية والتجارية ؟ وتجلب اليه التجار من كل صوب . الا تكون
تلك الدار صورة من صور عمران البلاد ومظهراً من مظاهرتما منهما .
ماذا يقول الاجانب الغريباء عنا ان عرفوا هذا النقص في مجتمعنا ؟
فان خلو البلاد من البورصة ثلثة لانتسد في البناء المالى وفراغ
لا يملأ في الاعمال التجارية . ويكفينا تشييداً بمنافع البورصة ان نورد
قول احد مشاهير المالىين المسيو رافلويجج فانه قال : لولا البورصة
لما امكن تأسيس سكك الحديد وترعة السويس وبنك الامماد
العقارى وغيرها من المؤسسات التى اذات العموم فائدة عظيمة .
فهل نرجو تأسيس البورصة في العراق في القريب العاجل ؟

٣ البورصة

البورصة دار يجتمع فيها التجار والصارفة والسامرة للبيع والشراء والمضاربات والمقايضات وقد اطلقت اللفظة على الاجتماعات ذاتها وعلى الاعمال التي تجرى فيها وكل ذلك في اللغة الفرنسية . ان اصل نشؤها عمريق في القدم ولكن ناموس الارتقاء حسنها وال عمران هذبها . وما اصلها الا الاسواق التي كان تقيمها الاقوام في مواسم معروفة كاسواق العرب التي مر ذكرها في المحاضرة الثانية وكان عند اليونانيين والرومان من امثالها . كما انه كان في اوربة اسواق كثيرة يجتمعون فيها في اوقات معينة للمتاجرة .

وبني عضد الدولة بن بويه في كازرون بفارس داراً جمع فيها السامرة لاعمال التجارة وعليه فقد عرف الشرق شيئاً من البورصة في صورة صغيرة منذ القرن العاشر للميلاد .

اما البورصة الحالية فهي بنت القرن التاسع عشر اوجدها العمران والاكتشافات والاختراعات وانتجتها حاجة الدول الى عقد القروض . فانها افادت في توسيع نطاق الاعمال ومهدت السبل لبيع الشقوق والاسهم والقراطين المالية حتى اهلته جميع طبقات الناس

في عاصمة آل عثمان وفيها بيان انظمتها. ومما جاء فيها ان اللجنة تتألف من اربعة وعشرين عضواً تنتخب نصفهم وزارة التجارة والزراعة. وينتخب التجار نصفهم الآخر. وان لا يقل عمر المنتخب عن الثلاثين سنة ويكون من الذين يتعاطون التجارة مدة لا تقل عن الخمس سنوات وان وظائف غرفة التجارة ان تبين وتذكر كتابة وزارة التجارة والزراعة بالتدابير والوسائل الموجبة لترقي الحرف والصنائع وتوسيعها والاصلاحات والتعديلات التي يجب ان تقوم بها وزارة التجارة وتعريفات الكمرك واجراء الاشغال العمومية وانشاء المرافئ وامر سير السفن في الانهر وتوسيع مصلحة البريد ومد خطوط التلفراف وطرق الحديد؛ وتسوية الطرق والمعابر وفتحها: وتأسيس البورصات. ونشر الجرائد التجارية واحداً منها وقصارى الكلام كل الوسائل التي توجب رقي التجارة سواء صدرت من عندها تواءم اوردوا بها اليها.

فقد ظهر مما مر منزلة غرف التجارة ومؤثراتها في تقدم هذه الحرفة الشريفة والمهنة الحرة فهل يليق بحكومة العراق ان لا يكون لها من امثال هذه المعاهد في صدر نهضتنا؟

التجارة من الوطنيين برئاسة سعادة قاسم باشا الخضيرى واللجنة هي من المعاهد تقتصر على تصديق بعض الوثائق ليس الا . وكانت احدى جرائد العاصمة قد خبرت ان في نية وزارة التجارة انشاء غرفة تجارية وطنية (١) وقد بات هذا المشروع في حيز القوة ولم يصدر الى حيز العمل حتى الساعة الحاضرة .

ولا يجهل احد خطورة الغرف التجارية وموقفها المفيد موقف وسيطة بين تجار البلاد والحكومة . وقد جاء في تعريفها انها جماعة من التجار غايتهم تمثيل المنافع التجارية والصناعية والذود عنها . ويرتقى تاريخ نشأة غرف التجارة الى القرن السادس عشر . وقد بلغ تطورها في القرن الثامن عشر الى ان تكون شركات *Compagnies* تعمل تحت سلطة الحكومة بمثابة مؤسسات تتعلق تعلقاً متين العرى بالنظام الادارى وكانت وظيفتها انباء الحكومة بمحاجات التجارة والصناعة .

ولكل دولة راقية انظمة لغرف التجارة عندها . وقد صدر ارادة ملكية تركية مؤرخة ٦ صفر سنة ١٢٩٧ في تأليف غرفة التجارة

(١) كان هذا قبل ان تلغى وزارة التجارة من دولة العراق

في مدرسة الحياة العظمى وفي حلقات الأختبار اليومي فوق ما يدرسه
 عمليا في السوق عند كبار التجار او في البنوك . وهناك معلمون
 خصوصيون يدرسون في بيوتهم حساب القيد المزدوج (البنجو).
 وآخر كلمة اقولها في هذا الباب هي الاعراب عن اميتي ان يفقه
 رجال البلاد حاجتنا الى تشييد مدرسة تجارية في بغداد عاصمة العراق قديماً
 وحديثاً. وان يدخلوا في منهج المدارس الثانوية درس اصول التجارة
 ٢ غرف التجارة

هذه خلة اخرى في تجارة القطر وفراغ ثان في مرافق الارتزاق
 في البلاد. أسست غرفة تجارية في بغداد قبيلى الدستور وكانت
 تسير سيراً حثيثاً نحو التقدم شأن المشاريع الحديثة النشأة وبقيت
 حية سنوات عديدة حتى كان الحرب العامة وسقوط بغداد فاحتمت
 عراها. وان لم تكن تلك الغرفة التجارية الزراعية الصناعية وافية
 بالمرام كافلة ما يتطلب منها من السعي والاقدام فانها قامت ببعض
 اعمال وكان يرجى ان تنشط رويداً رويداً لولم تسر الى انقضاء .
 واسس البريطانيون بعد الاحتلال غرفة تجارية انكليزية لم يشترك
 بها الاهلون ولم نسمع عن اعمالها شيئاً كثيراً . كما تألفت لجنة

ارباب الحل والعقد بهذه الحاجة بعد الاحتلال البريطاني بغداد واسسوا مدرسة تجارة في بغداد والسكن توارث شمسها في ضحى نهارها وافل قرها هلالا. أسست سنة ١٩١٩ ولم يمض على حياتها سنتان الا واغلقت ابوابها ودخلت في خبر كان لاسباب لم تقف عليها

المدرسة التجارية حجر زاوية في بناء التجارة واسه المكين .

وهي المعهد الذي يطور الاعمال ويكسيها حلة قشبية ويخرج لنا تجاراً يديرون دفتها وفقاً للمبادئ العلمية والاصول الفنية .

امامنا الآن ونحن نكتب هذه الاسطر مجموعة من مناهج

المدارس التجارية في بيروت ومصر والقسطنطينية وانكلتره وفرنسة

وكلها مشحونة بالفوائد التي لا يستغنى عنها التاجر البارع الذي ينزع

الى تجديد طرق الاتجار ؛ وتنظيم دفتاره على الاساليب الحديثة ؛

وترتيب حساباته ترتيباً متقناً ؛ وتأليف معهده ومستخدميه على

احسن طراز ؛ وتوسيع معارفه الاقتصادية من علم بلدان ومعرفة

اسواق وخبرة في البضائع ؛ واثقان اساليب المراسلات والوقوف على

قوانين الشركات والمصارف (البنوك) وغيرها .

العراق خلو من اشباه هذه المدارس وكل تجارنا يدرسون

وإذا اطلقت العنان للسان ان يسرد عليكم نقائص تجارتنا
والعقبات الكئودة القائمة في سبيل رقيها لتجاوزت عقود الاصابع.
ولقد لستم فوق ما قلت ان لا بورصة عندنا ولا مصرفاً عراقياً
ولا شركة وطنية ولا سكة خاصة بلادنا ولا وحدة للقياس
والوزن. ولا وسائل نقل منظمة الخ الخ... وبوجه الكلام
ان مفاخر التجارة العراقية تفوق حسناتها وانها اقرب الى طور
النشأة والبدء منه الى طور الرقي والكمال.

وسأخذ في درس حاجه التجارة الى الرقي في هذا الفصل
الذي عقدناه لهذه الغاية ونمر عليها مرور عجلان اذ التبسط في
الموضوع يتطلب كتاباً واسعاً.

١ المدرسة التجارية

يدخل مدرسة كل فن من الفنون الراغب فيه من الطلبة الذين
يهيئون دروسهم العامة. والرغبة في الحياة من اكبر دواعي النجاح.
لا بل عمده وطنيه والمدرسة التجارية هي من مصاف المدارس
العالية كمدرسة الحقوق والهندسة والطب والسياسة والزراعة
وغيرها. والعراق في حاجة ماسة الى مدرسة تجارية. وقد شعر

العراقيون وشمروا عن ساعد الجد والاجهد في تهئية اسباب تقدمها
 واعداد العدد لرفع شأنها وتوسيع نطاق اعمالها واتخاذ الوسائل
 والاساليب التي عمدها الاوربيون والاميريكيون لابل اليابانيون
 والصينيون والمصريون الحاليون في تجاراتهم .

ان ما يؤسف له ان تجارة العراق مهما كانت خطيرة واسعة
 النطاق ينقصها اشياء كثيرة لترفعها الى مستوى تجارات الامم
 العريقة في الحضارة والعرفان . لامدرسة تجارية عندنا تعلم فن التجارة
 ونظرياته وتدرس العلوم التي لها صلة وثيقة العرى متينة القوى
 بهذا الفن الاقتصادي . ولا معاهد ونواد ونقابات تجمع بين
 النجار ورباب المصالح فيتفاوضون في شؤونهم ويتعاونون في حل
 مشاكل مصالحهم . فيقومون عوجها ويصلحون اودها . ولاعرف
 تجارية منظمة تدرس موطن الخلل في هذا المرفق وتتوسط بين ارباب
 المصالح والحكومة وترشدهم الى حل المسائل التجارية والقضايا
 الاقتصادية التي تحدث في البلاد . وتكون حلقة وصل ووسيلة
 تعارف بين تجار القطر وتجار سائر الاقطار . وتشر الاحصاءات
 التي تظهر حركة الاعمال في البلاد من صادرات وواردات .

(١) المحاضرة السادسة
تجارة العراق واسباب رقيها

مفاز التجارة عندنا - المدرسة التجارية - الغرف التجارية -
البورصة - الشركات التجارية الكبرى - الامن العام
البنك الوطني - النقود العراقية - تحسين الزراعة
والصناعة - تنظيم طرق المواصلات -
اصلاح الاوزان والمقاييس
وتوحيدها - السعي في
اكثر الصادرات

بعد ان اوفينا البحث حقه عن تاريخ تجارة العراق قديما وحديثا
واسهبنا الكلام عن النهج الذي انتهجته منذ نشأتها حتى اليوم ان
لنا ان نعم النظر في مستقبلها والشروط الذي تقطعه من الرقي ان نهض

(١) لم تمكن من القاء هذه المحاضرة بسبب اشتداد الحر .

هذا ما اردت ان ابينه في هذه المحاضرة والتسكم عذراً اذ
 تعبت مسامعكم بانهيال الارقام وختمت محاضرتي برناء الحالة الاقتصادية
 ويشفع في عذري اليكم ما آتمناه للامة من اسباب الرخاء والعهد
 السعيد، والرواج لتجارتنا كل الرواج فهو السميع المحيب .



وتفكر الحكومات الآن كيف تسترجع الاموال التي بذلتها في ابان الحرب ولم يسلم العراق من هذا التيار .

(١٠) ان تجارة العراق تسير في ازمتها الحاضرة وفقاً للقاعدة الاقتصادية التي تقول ان دور اليسر يعقبه عسر وتأتي الازمات بعد الرواج .

(١١) تأثير الاضطرابات البولشفكية على تجارة ايران وايقاف صادراتها الى تلك الديار .

(١٢) وقوف صادرات ايران الى اوربة والصين لاسيما الافيون فان لم تتم كمن بلاد فارس من اصدار حاصلات بلادها لايتسنى لها ابدباع الادخالات .

(١٣) المبيعات التي قامت بها الحكومة العسكرية البريطانية في العراق (١)

(١) جاء في برقية لشركة رويتر مؤرخة من لندن في ٢١ خريزان ان ماباعته لجنة التصفية العسكرية في العراق بلغ في ٣١ آذار ١٩٢٢ (مارج) ٣٣٨٥٠٠٠٠ ليرة استرلينية .

(٢) هبوط اسعار المصنوعات في اوربة فان الحكومات

قد كفت ايديها عن طلبها بسبب تسريح الجيوش .

(٣) ان افراد الجيوش رجعوا الى اعمالهم في معامل اوربة

فهبطت اجور العمال .

(٤) ان اجور السوق هبطت بسبب كثرة المراكب التي لم تعد

الحكومات تطلبها .

(٥) ان البضاعات المودعة في مخازن تجارنا هنا اكثر مما تطلب

وبالنتيجة هبطت اسعارها لان العرض يفوق الطلب

(٦) ان البضائع الواردة الى العراق تفوق الصادرات بمراحل

حسباً بيننا ذلك في الاحصاء وكل بلاد تفوق وارداتها صادراتها

هذا التفوق تسير الى ازمة اقتصادية لا بل الى فقر .

(٧) ان هبوط سعر الفضة وبالنتيجة سعر الربية أثر في ثروة

العراق تأثراً سيئاً .

(٨) ان البريطانيين في البلاد كفوا عن بذل النفقات الطائلة التي

كانوا ينفقونها في ابان الحرب على جيوشهم اذ ارجعوا معظمه الى بلادهم

(٩) ان الانتفاخ المالى الذى كان مصاباً به العالم اخذ بالزوال

مقادير التمر الصادرة من العراق ١٩٢١ و ١٩٢٠

سنة	قيمة ربية	خسافة	وزن بالطن	صندوق
١٩٢١	٥٢٢١٩٢	٦٢٠٢٨٢٢	٣٢٥٣٢	٩٩٠٣٨٢
١٩٢٠	٤٣١٠٠٠	١٤٨٢٣٢٥٠	٧٤١٠٠	٢٢٨٠٥٠٠
سنة	قيمة	قسط طون	قيمتها	وزن
١٩٢١	١٣٤٢١٨٦	٩٨٥٧	٥٠٣٥٤٨٣	٣٥٦١٥
١٩٢٠	١١٥٩٥٠٠	٧٢٤٢	٤٧٨٨٩٠٠	٣٢٣٢٤

دور الرجعة

()

يقول الشاعر العربي :

ما طار طير وارتفع
الاجح طار وقع

وهكذا حدث في تجارة العراق فبعد ايام الرخاء يعبر التجار
اليوم دور العسر او الازمة الاقتصادية وذلك لاسباب جمّة
نحضرها في ما يأتي :

(١) هبوط سعر القران بمعدل الليرة الاسترلينية ٦٠ قراناً

اوقف طلب ايران السلع من سوقنا

مأكبات			
١٢	١١		
(لم تقم على مجموع المقادير لهذه الثلاثة الاصناف لسنة ١٩١٩)			
اهم الصادرات من العراق في السنوات الثلاث التالية بالمائة الف ربية			
١٩١٩	١٩٢٠	١٩٢١	
٢١٧	٢٠٨	١٢٦	تمر
٣٧	٢٤	٣٤	اقمشة*
٢٧	٢٠	٣٣	حبوب وقطاني ودقيق
٣	١٠	٢٢	سكر*
(*)-	٢٤	٦	طنافس*
٧	٩	٥	جلود
١٥	٨	٥	صوف
(*)-	١	٥	امعاء (مصارين)
(*)-	٥	٤	عرق السوس
(*)-	٣	٣	تباك*

*ان هذه البضاعات ترد الى العراق وتصدر منه بطريقة النقل (الترانسيت)

(*) لم تقم على مقادير هذه البضائع الاربع لسنة ١٩١٩

اهم الواردات الى العراق للسنوات الثلاث التالية :

بالمائة الف ربية

١٩١٩	١٩٢٠	١٩٢١	
١٩٦	٢٨٣	٢٥٨	سكر
٧٠٤	٢٦٢	٢٤٥	اقمشة
٦٣	٨٦	١٤٢	حبوب وقطاني ودقيق
—	١٧	٤٠	زيت
٢٥	٣٢	٢٩	مشروبات
٤٦	٦٣	٣٠	تنباك
—	٥٧	٢٨	خشب وصناديق لكبس التمر
٩٠	٤٣	٢٥	مؤن وتوابل
٧	٤٥	٢٢	سيارات ودراجات وتوابلها
٦٠	٢٠	٢٠	شاي
١٠	٢٥	١٥	بن
١٦	١٥	١٣	صابون
١٩٧	٢٥٠	٧	معادن وفلزات

نسبة الواردات من :

الهند	بريطانية	ممالك اخرى	ايران	بلاد العرب	فرنسة	تركية	وسورية
٥٥٥٥	٢٦٠٧	١١٤٨	٤٤١	١٤٩	-	الى البصرة	
-	٢٤	٤٨٤٥	-	٢	٢٠٤٥	٣	٢ الى بغداد

نسبة الصادرات الى :

الهند	بريطانية	ممالك اخرى	ايران	بلاد العرب	اميركة	سورية	تركية
٢٢٠٧	٢٨٤٣	٢١٤٣	١٦٤٨	١٠٤٩	-	من البصرة	
١٤٨	٥٤٣	٢٤٤	٦٤٤٦	-	١٥	١٠٤٩	من بغداد

مجموع النسبة المئوية لتجارة بغداد والبصرة في سنة ١٩٢٠

ادخالات	اخراجات
ايران ١١٤٧	الهند ٨٤٨
بريطانية ٣٩٤٢	بريطانية ١٢٤٤
الهند ٣٩٤٥	ايران ٤٧٤٦
سورية و تركية ١٤٠	سورية و تركية ٧٤٣
بلاد العرب ٠٤٧	بلاد العرب ٧
ممالك اخرى ٧٤٩	ممالك اخرى ١٩٤٢

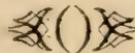
وبلغت قيمة الواردات والصادرات في العراق في سنة ١٩٢٠ ما يأتي

الواردات	الصادرات	
ربية	ربية	
١٠٩٠٦١٢٠٠٩٣	٥٩٠٤١٤٠٥٢٩	بغداد
١٢٣٠١١٢٠١١١	٤٤٠٣٩٣٠٥٥٦	البصرة
٢٣٢٠٧٢٤٠٢٠٤	٩٣٠٨٠٥٠٠٨٥	المجموع

الفرق بين الواردات والصادرات لسنة ١٩٢٠ ربية

١٣٨٠٩١٩٠١١٩

بغداد	البصرة	
٢٠١٩٤٠٨٩٩	٢٥٠٧٨٦٠٣٦٧	حاصلات البلاد
٥٧٠٢١٨٠٧٠٢	١٨٠٦٠٧٠١٨٩	حاصلات الخارج
٢٧٠٩٨١٠٢٦٦		مجموع حاصلات البلاد
٧٥٠٨٢٥٠٨٩١		« حاصلات الخارج



النسبة المئوية لتجارة العراق مع الدول والاقطار الغربية

والشرقية لسنة ١٩٢٠

وقد كان لسكك الحديد التي مدها البريطانيون في اثن الحرب شأن في تسهيل سبل التجارة ونقل البضائع. ولا سيما السكة التي تمتد من البصرة الى بغداد وطولها ٣٥٢ ميلا ونيف والسكة التي تبتدىء من بغداد الى قراتو وطولها ١٣٠ ميلا واليوم تصل الى طوروق فقط وعليها تنقل بضائع ايران الى هذه المحطة ومنها تنقل على الابل والبغال الى كرمانشاه او غيرها من المدن الفارسية. والسكة التي مدها من سامراء الى شرقاط في الطريق المؤدية الى الموصل تمت بها سكة بغداد سامراء التي كان قد انشأها الالمان . وقد بلغت تجارة بغداد في سنة ١٩١٩ واردات من وصادرات ما يأتي :

الواردات الصادرات

ريية رية

بغداد ٤٤٤١١٥٠٩٠٧ ٧٤٤١٠٠٠٣٩١

البصرة ١٣٩٠٩٢٢٠٣٧٦ ٣٦٤١٠٧٠٢٠٠

المجموع ١٨٤٤٠٣٨٠٢٨٣ ١١٠٠٢٠٧٠٥٩١

الفرق بين الواردات والصادرات

ريية ٧٣٤٨٣٠٠٦٩٢

الامن في دير الزور وقامت قيامة الاعراب في تلك الديار وقطعت
المسألة .

وقد اشترى العراقيون اوراقا نقدية كالروبل الروسي والمارك
الالمانى وباعوها وتاجروا بالليرة الانكليزية والفرنك الفرنسى
وغيرها من الاوراق النقدية والسفائح الاوربية والاميركية والهنديّة
والتركية ووربحوا فى قسم وخسر وفى الآخر ولم يكن نطاق المضاربة بهذه
الاوراق والسفائح واسعا هذه السعة قبل الحرب اذ ان الفرق بين صعود
سعرها وهبوطه لم يتجاوز معدله ثلاثة بالمائة .

اوجدت الحرب العامة مناهلا جديداً استقى منه العراقيون
نفعاً لا يسهان به بعد الاحتلال البريطانى الا وهو سوق التحف
العراقية والطرف الايرانية والعاديات القديمة فقد كان رجال الجيش
يتعاونون فى بغداد الاكسية البغدادية والاعبة والازر المقصبة والاقمشة
القديمة التى كانت ترد من الهند والاستانة فى القرن التاسع عشر
وشالات ايران وسجدها والاسلحة العربية والساديات البابية
والمسكوكات الساسانية والرومانية واليونانية والعربية القديمة والحزف
الصينى وغيرها فغيرها .

قصوى الى البضائع والسلع . وكانت الحملة البريطانية فى ايران تنفق النفقات الطائلة وتحتاج الى بيع الحوالات بليرات استرلينية فهبط سعر الليرة الاسترلينية الى ١٩ قراناً . فباع الايرانيون حاصلات بلادهم الى الجيش باسعار مرتفعة واستفادوا فائدتين من هذه المعاملة فائدة ارتفاع الاسعار وفائدة خفض قيمة الليرة الاسترلينية . فتلك الاحوال اولدت فى البلاد رخاء . وهب الايرانيون الى ابتياع الحاجيات والكماليات وبذل الدرهم والدينار فى سبيل الزهو والترف فحدثت حركة تجارية فى بغداد هطل من سبحاتها وابل الارباح على تجارنا . ولا يخفى عليكم ان معظم تجارة العراق (اى نحو ثلاثة ارباعها متوقف على بلاد فارس . والعراق هو الوسيط التجارى بين هذه الدولة الشرقية واوروبا فى الوارد والصادر .

ووجد التجار ينوعا جديداً للارتزاق بين بغداد وسورية على ارض خفض سعر الليرة الاسترلينية وبلغ الفرق فى سعر الليرة الاسترلينية بين القطرين الشقيين ٢٥ فى المائة فكانوا يشترون من هنا حوالات على مصارف لندن ويذهبون او يرسلون بها الى حلب ويحبون بقيمتها اوربمها ذهباً رناناً . وبقيت هذه التجارة الراجحة رائجة الى ان اختل

البصرة الى بغداد كان على ثقة من الارباح الطائلة . وكان التجار يدفعون المكوس على بضاعتهم التي ترد اليهم من الهند وهي اكثرها ومن اوربة واميركة في البصرة وهناك يسقى وكلاؤهم الى شحنها الى بغداد . وقد استورد التجار والحكومة سنة ١٩١٧ و ١٩١٨ من الهند مقادير وافرة من الخنطة والشعير والارز بسبب قحط الجبوب الذي كان مسه تولىا على العراق وكانت بلدية بغداد توزع اجازات للبيوت بنسبة افرادها لابتياح الجبوب من مستودعات البلدية العامة .

ولم تكن الحكومة البريطانية تجيز الصادرات من بغداد الى البلدان المجاورة في سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ الا باجازات من السلطة الملكية . فالذين كانوا يحوزون تلك الاجازات كانوا يربحون ربحاً وافراً . وبعد ان انتصر الجيش البريطاني على فرقة علي حسان بك القائد التركي في جبهة ايران وعقد الحلفاء الهدنة مع تركيا واحتل البريطانيون الموصل وتمهدت سبل المسابلة مع سورية فتحت ابواب جديدة للمتاجرة .

كانت ايران والموصل والمدن الواقعة في ما بين النهرين في حاجة

الصادرات

الى الهند	بريطانية	ايران
في المئة	في المة	في المئة
٢٩٠١	١٨٠٥	٢٠٠٥
٢٠٠٥	٣٤٤٤	١٤٤١
بلاد العرب	غير ممالك	سنة
في المئة	في المئة	
١٦٠٥	١٥٠٤	١٩١٨
١٣٠٣	١٧٠٧	١٩١٩

وما قلناه عن مروجات تجارة البصرة واسباب توسعها في عهد الاحتلال العسكري حدث في بغداد ايضا بعد الاحتلال البريطاني لسنة ١٩١٧ ولا بد من حدوده. كيف لا وقد كانت المقدمات واحدة والعلل بعينها فتكون النتائج سواء يلا مصرية . وقد كان من اسباب رواج البضاعات والسلع في بغداد مما لم يكن في اختها البصرة وذلك لقلة وسائل النقل في النهر وندرة المراكب التي تسير في دجلة فالتاجر الذي كان يتمكن من شحن بضاعته باى وسيلة كانت وينقلها من

الصادرات

١٩١٦ ١٩١٥

لم تقف على احصاء لهاتين السنتين وربما كان الاصدار ممنوعا فيهما

١٩١٩ ١٩١٨ ١٩١٧

٣٦,١٠٧,٢٠٠ ١٣,٤٩٠,٨٩١ ١٢,٢٨٧,٨٦٥

وقد كان معدل الاشغال التجارية في البصرة مع الدول من

واردات وصادرات لسنتي ١٩١٨ و ١٩١٩ كما يأتي :

الواردات

سنة	الهند	انكلترة	ايران
	في المئة	في المئة	في المئة
١٩١٨	٥٨	٢١	١٦,٧
١٩١٩	٦٣	٢١,٩	٩,٩
	بلادالعرب	ممالك اخرى	سنة
	في المئة	في المئة	
١٩١٨	١,٨	٢,٥	١٩١٨
١٩١٩	١,٤	٤,١	١٩١٩

التركية على الصادرات ثم أثبتته . وتطورت المكوس بتطور الاحكام
حتى وصلت الى ما هي عليه من الزيادة حسب التعريف الحاضر .
وقد كان دخل مما كس العراق كما يأتي :

١٩١٥ - ١٩١٦ - ١٩١٦ - ١٩١٧ - ١٩١٨ - ١٩١٩

٦٧٣٨٠٠٠

٥٧٦٤٤٠٠

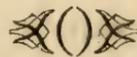
١٨٣٤٤٩٧

١٩١٩ - ١٩٢٠

٢٢٠٠٢٤٠٠٠

ولتقف وقفة خبير على تجارة البصرة ونحكم حكم عارف على
خطورة صادراتها و وارداتها في غضون الخمس السنوات التي تمتد من
منذ سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩١٩ نورد الارقام التالية بالريية :

الواردات



١٩١٧ و

١٩١٦ و

١٩١٥

٦٢٠٥٤٤٠٦٣٧

٢٠٠٤٩٤٠١٤١

٩٠٤٤٥٠٧٥٨

١٩١٩ و

١٩١٨ و

٣٧٦٠١٣٩٠٩٢٢

١١١٠٠٢٦٠٨٥٢

انتقل المرفأ المذكور من السلطة العسكرية و اودع تديره الى السلطة الملكية وبقى امر تنظيمه و توسيعه منوطا بادارة الميناء يساعدها مجلس شورى مؤلف من ممثلى الادارات العسكرية و الملكية و غرفة تجارة البصرة و اعيانها .

بعد ان احتل البريطانيون البصرة اودعوا جباية مماكس الى احد البيوت التجارية البريطانية وهم الخواجات كرى و ماكنزى و شركاؤهما . و لما اتسع نطاق الواردات بعد احتلال العمارة عينوا موظفا رسميا . وكانت المماكس فى مدينة البصرة بمشرفة ادارة المالية مباشرة اما فى العمارة و على الغربى و بغداد بعد الاحتلال و فى غيرها من البلدان فكان متوظفو المماكس يجبون المكوس و يراجون فى امورهم الحكام السياسيين او معاونيهم ثم فتح فى بغداد مماكس بمشرفة ادارة المالية و فتح لها شعبة خاصة بها . و اليوم تراجع باعمالها و زارة المالية .

و كانت الحكومة العسكرية تتقاضى فى صدر الاحتلال مكسا عشرة فى المائة عن جميع البضاعات و عفت الماكولات منها كما انها الفت الواحد فى المائة عن المكس الذى كانت تتقاضاه الحكومة

صقع وناد واضحت متدي ارباب الاعمال من كل الضوف .
 وكانرا يتألبون في قهوة السيف كل يوم يضاربون ويتاجرون لا بل
 ان التجارة كانت اشبه شئ بمضاربة البورصة ومجازفة المقامرین
 ولكنها كلها كانت بادیء بدء صفقة رابح حتى شاع ذكر قهوة
 السيف شيوع مر بد البصرة الشهير في القديم وربح الناس اموالا
 طائلة برؤس اموال قليلة لا يعتد بها .

وكان من اهم الامور التي تسترعى هممة رجال الاحتلال للغاية
 القصوى اليه من الوجة العسكرية والتجارية مسئله مرفأ البصرة
 فلم يكن هناك قبل الحرب رصيف ترسو بجانبه مراكب البحر
 للوسق والتفريغ . بل كان يتم هذان العملان بوساطة السفن
 والمراكب الصغيرة ولا يخلو هذا الاسلوب من عقبات وتأخير
 وغيرها ففكر رجال الجيش في انشاء مرفأ تسهل عليهم العمل
 فاختاروا بقعاً من الارض على ساحل شط العرب واسسوا هناك
 المرفأ الموافقة لسعة حركة المراكب العسكرية والتجارية واضحى
 ميناء البصرة في سنة ١٩١٩ منظمًا واسعاً يمتد في بقعة من الارض
 مساحتها ١٦٠٦ فدان او ٢٥٧٠ دونما . وفي ١ نيسان سنة ١٩٢٠

من العرب والعجم . وكان تجارها يبعثون باموالهم الى الاله واز
ومن هناك توغل في بلاد ايران فيبتاع عرب البدو مقادير
وافرة من انواع الامتعة والسلع وينقلونها الى القبائل المرابضة على
عدوات دجلة والفرات وربما نقلوها الى المناطق التي كانت تحت
سلطة الاترك حتى بغداد وما فوقها . وكنا نسمع عن ذلك الانقلاب
الاقتصادي من الغرائب والعجائب ما يذهل الالباب ويحير العقول
فعمد بشائر ذلك الاثراء والرفاه من الاحاديث الفرية او من
مخترعات الخيال . ونزلها منزلة اقاويص الف ليلة وليلة .
كيف لا يكون ذلك وكان في تلك الانباء شئ كثير من الحقائق
واكثر منه النلو الذي خلقته مخيلة القوم او نشأ من تناقل الاخبار
من فم الى آخر ومن راوية الى ثان فالتف حولها الزوائد .

وزادت خطورة تجارة البصرة لما نزلتها الجيوش الجرارة بقيادة
الجنرال السرسستاني مود وتقدمت الى بغداد . وبعد احتلالها سافر
من هذه الحاضرة عدد غير يسير من التجار وعمال التجار الى البصرة
ليبتاعوا من هناك البضاعات التي كانت بغداد في حاجة اليها للاهلين
وللجيش المحتل واصبحت سوق البصرة مجتمع التجار اتوها من كل

وانشاء الطرق وبناء المستشفيات والماوى والملاجئ ويتباع الادوات
الكثيرة التى يحتاج اليها الجيش . لا بل انه كان يشغل العمال
كالتجارين والحدادين والبنائين والعتالين وسواهم وينقدمهم اجوراً
عالية . وكان المال يسيل من قناة السياسة الى الشيوخ والقبائل
العربية الذين ساعدوا حركات الجيش وافقوا مع البريطانيين
لتحرير البلاد .

فكثرة المال وكثرة طلب البضاعات والمؤن والعمال من الجهة
الواحدة ؛ وقلة البضاعات لاشتغال المعامل فى اوربة والهند لسد
مطالب الجيوش الكثيرة وقلة وسائل النقل لاشتغال المراكب بنقل
الجيوش ومعدات الحرب من الوجهة الاخرى روجت تجارة البصرة
واى رواج حتى ان البضاعة الواحدة كانت تباع مراراً قبل وصولها
الى المرفأ وذلك بنقل بواليص الشحن من يد الى اخرى وكانت
تخلف ربخاً طائلاً كل مرة بيعت . واذا وصلت البضاعة المدينة
بيعت على الجيش دفعة واحدة او ابتاعها ياعو الاثتات واصحاب
الدكاكين ولم تلبث يوماً حتى تنفذ .

وكانت اسواق البصرة غاصة باصحاب الاعمال والمستنفدين

العمارة (٣ حزيران) والناصرية اى معظم ولاية البصرة كما انهم
اجبطوا مساعى الاتراك وردوا حملتهم على الاهواز .

وقد كانت الحملة البريطانية فى حاجة الى المؤن والامتعة والمشروبات
والتبغ للتدخين ففتح عهد زاهر للمتاجرة وشرع التجارى يستوردون
بضاعات لم يكن لها سوق فى العراق او كان نطاق المتاجرة بها
ضيقا. كالمشروبات الكحولية الاوربية على انواعها والحليب المركز
فى علب والبسكويت والشوكولات والعطريات وادوات الزينة والحلاقة
واللحوم المكبوسة فى العلب وقتانى المخلات والرواصير وانواع
السيكارات الاميركية والصابون الافرنجى على اختلاف انواعه وغيرها
فغيرها وكان يعرف درجة الترف الذى عاش فيها الجندى البريطانى
فى العراق فضلا عن ضباط الجيش وامرائه وابتداعهم الحاجيات
والكماليات باسعار مرضية .

ولم يقف طلب الجيش البريطانى عندهذا الحد بل كان يتنازع غلات البلاد
والبضاعات الواردة اليها من حنطة وشعير وحم وفاكهة وسمن وبقول
ووقود وخشب وحديد وملاط ووزجاج نوافذ وحصران وكل ادوات
البناء وكان يستدعى المقاولين ويعهد اليهم باشغال خطيرة كاقامة البيوت

والفواكه واللحم والبيض في مدينتنا كل مدة الحرب في عهد الاتراك فكانت وزنة الخنطة تباع باربعة مجيديات او عشر ربيات ومن السمن باربعة مجيديات الى خمسة مجيديات اي عشر ربيات حتى اثنتي عشرة ربية ونصف الربية. ثم ارتفعت شيئاً فشيئاً اولاً لكن معظم ارتفاعها كان رخيصاً كل الرخص بالنسبة الى اسعارها بعد الاحتلال البريطاني ولذلك اسباب اقتصادية جوهرية اهمها كثرة الطلب نظراً الى عدد جيش الاحتلال وكثرة تداول النقود التي انفقها البريطانيون بعد الاحتلال حسبما نرى بعد ذلك .

لنرجع قليلاً الى تجارة البصرة بعد الاحتلال البريطاني وندرس تطورهما العظيم . فان البريطانيين دخلوا البصرة وبدخولهم انفتح مجال واسع للتجارة والاعمال اذ انهم كانوا مسيطرين على البحار ويدهم ويدهم حلفائهم مقاليد الملاحة في البحر المتوسط وبحر الهند والبحر الاحمر وخليج فارس وغيرها مما كان يسهل سبل المتاجر والمضارب في البصرة صرفاً العراق الوحيد . ولم يمض عهد طويل على احتلالهم البصرة حتى تقدموا واستولوا على القرنة في ٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ ولم ينته شهر يوليو سنة ١٩١٥ حتى كانوا قد احتلوا

القطر منذ نشأته حتى اليوم . فقد بلغ سعر السكر سبعة اضعافه مما كان قبل الحرب وورق السيكاارة ارتفع ثمن الحزمة (الباله) من اثني عشرة ليرة الى ٢٥٠ ليرة . وسعر الصندوق من اصباغ الانيلين من سبع ليرات الى ٣٥٠ ليرة والبضاعات القطنية ارتفعت اسعارها نحو اربعة اضعاف عما كانت عليه قبل الحرب . وقس على ذلك سائر الحاجيات والكماليات .

ولما احتل الروس كرمانشاه للمرة الثانية سنة ١٩١٦ صادروا كثيراً من بضاعات العراقيين التي كانت في عهدة وكلائهم هناك ولم يدفعوا اليهم ثمنها . واخذ الاتراك في بغداد قبيل الاحتلال الانكليزي من التجار سكرأ وحديداً وصابوناً وبرأ وشعيراً وغيرها واعطوهم بأمانها قبوضاً «وصولات» ولكنهم لم يفسح لهم الاجل لدفع اثمانها بل كان احتلال البريطانيين بغداد في ١١ آذار سنة ١٩١٧ سبباً لمغادرة الاتراك حاضرتنا وانتقالهم الى سامراء على عجل ولما غادروا هذه المدينة احرقوا شيئاً كثيراً من البضاعات التي كانوا قد اخذوها من تجار بغداد والقوا ما بقي منها في النهر .

وهنا نذكر كم برخص اسعار الغلات والارز والسمين والخبز

أمان مبيعاته الا نوتاً تركيا .

ونظراً الى حاجة السلطة العسكرية الى وسائل النقل برأى لى
 ايران التركية والالمانية؛ والى نقل الجيوش والمعدات التى ترد من
 الاناضول والاستانه الى سورية ثم الى العراق او الى نقل الجيش الذى سافر
 من العراق الى قفقاسية فى بدء الحرب كانت قد اذنت بمشاركة
 القوافل من الابل والبغال والحمير ولم تأذن للتجار كراءها للمقاصد التجارية
 الا باذن منها ولما تكون فى غنى عنها .

كل تلك التدابير والاوامر والنواهي والقوانين الوقتية الشديدة
 دعت اليها الحرب الكونية اذ كانت تركيا فى ميدان الوغى
 تدافع عن كيانها ولم تكن لتشتى التجار عن توسيع نطاق اعمالهم وترويج
 بضاعتهم بل كان الطلب كثيراً من سورية والاناضول والجزيرة
 وبلاد فارس للبضاعات المخزونة فى بغداد والارباح طائلة تستنزى
 المضاربين الى المجازفة والمخاطرة وبذل الاموال والنفقات للتوصل
 الى غايتهم ولا تأخذ الوسائل المختلفة لنقل البضاعات من العراق الى
 الاقطار الاخرى . وقصارى القول ان تجارة العراق ازدهرت
 فى ابان الحرب العامة ازدهاراً لم يعرف له مثيل فى تاريخ تجارة هذا

البضاعات في كل شهر ولا سيما ما يدخل منها في نطاق الحاجيات كالسكر وغيره واودعت مهمة اعطاء الاجازات بذلك الى ادارة الشرطة ، وحددت اسعار المبيعات لبيع الاشتات (التفاريد) لابل انشأت مخزنا اوغير مخزن واحد وكانت تتباع من تجار الحملة السلع لتلك المخازن وتبيعها باسعار مقرررة على الامة المستنفدة وتقبض لقاء ثمنها نقود ورق . وكانت تباع في تلك المستودعات بادىء بدء الثقة اب والسكر والبتروول في ايام معينة الا ان تلك التداوير لم تطل زمنا بل اغلقت المخازن . وقبيل احتلال الانكليز بغداد بلغت الحكومة التركية جميع التجار ان يدونوا اسماء بضاعتهم وكمياتها في دفتر يقدموه الى اللجنة المؤلفة لهذه الغاية . وتوعدت المخالفين بمصادرة البضاعات التي لا تدون في ذلك الدفتر او تدون على خلاف حقيقتها . وبنفيهم من العراق الى قطر آخر . وكانت الغاية من احصاء البضاعات والامتعة ان تعرف الحكومة مقدارها وتباع من كل تاجر كمية نسبية من مخزوناته باسعار متساوية وتبيعها في مخزن « عام » سداً لحاجات الاهلين عموما ورجال الوظائف العسكرية والملكية الذين كانوا يتقاضون رواتبهم انوا تخصوصاً وكانت قيمة النوت التركي قد هبطت الى خمسها ولم يتقاض ذلك المخزن

ولمذ نفوذهم التجارى واستثمار سوق العراق عموماً بل انهم نشطوا
 روبرت ونكههاوس وشركاؤه الى تأسيس بيتهم التجارى فى بغداد
 برئاسة المستر براون الذى يعرفه تجار بغداد ولا يجهل القراء ان هذا
 البيت لعب دوراً مهماً فى سياسة المانية فى خليج فارس والبصرة. هبط
 اصحابه قبل الحرب فى اول امرهم لنجدة وكانوا يتاجرون بالصدف
 والآلى وفى سنة ١٩٠١ انتقلوا الى جزائر البحرين ولم يطل
 الامد عليهم حتى ظهوروا بمظهر الاثراء والغنى ووسعوا نطاق اشغالهم
 وفتحوا شعباً لتجاراتهم فى البصرة وبوشهر والمحيرة والاهواز .
 وكانت تدل كل اعمالهم على ان مقصدهم كان سياسياً اولاً وتجارياً ثانياً
 ولما فتحوا بيتهم فى بغداد فى ابان الحرب اشتغلوا اشغالا تجارية واسعة
 النطاق فى الواردات والصادرات والصيرفة فى العراق وبلاد فارس .
 واهتموا بتجهيز الحملة الالمانية العسكرية الى بلاد فارس وقدموا لها
 وسائل النقل والمؤن وكان يعضدهم فى اعمالهم هذه احد البيوت
 التجارية العراقية .

وفى سنوات الحرب بقيت التجارة بمشاركة الحكومة التركية
 فاصدرت اوامر مختلفة وتعليمات عديدة وحددت كمية اخراج

وشرائها وفي وفاء الديون واداء الضرائب ليرة ذهب . وكانت
شريعة البلاد تقضى بالتعامل به اجاريا . وكانت الحكومة تحتاج
الى نقود الذهب فتبدل عند التجار مقادير من عملة الورق كل ليرة
منها بليرة ذهب . وراقب الاتراك الصيارفة اشد المراقبة ونكلوا تنكيلا
بعض الذين تعاملوا بدراهم الورق باوطأ من سعرها
الاسمى .

ومن الماجريات التى اثرت على تجارة العراق اعلان قانون تأجيل
الديون العثمانى . ولم يكن العراقيون قد سمعوا قبل هذا (بالمو راتوريوم)
القانون الذى ساعد المديونين على تأخير دفع ديونهم وتجزئتها
الى اقساط .

وسعى الالمانيون فى توسيع دائرة تجارتهم فى بغداد بعد سقوط
البصرة ففتحوا هنا شعبة للدج بنك وبقى هذا المعهد المالى حتى
احتلال البريطانيين بغداد .

وقد انفتحت البعثة الالمانية العسكرية فى العراق وايران مبلغاً من
المال ذهباً وفضة زاد تداول النقد ونشطت الحركة التجارية فى البلاد
ولم يكتف الالمان بتأسيس الدج بنك فى بغداد لاعمال بعثهم خصوصا

والمواصلات وان كانت مقطوعة رسمياً بين العراق ودول الحلفاء
 الا ان التجار هنا كانوا يتوسلون بالوسائل لمراسلة اصحابهم في تلك
 البلدان ومفاوضتهم في امور البيع والشراء فكانوا يرسلون برسائلهم
 ويرقياتهم الى بلاد اليونان اوسويسرة او اميركة قبل ان تدخل
 الحرب او غيرها من الدول المحايدة و يأخذون اجويتها بتلك الطريقة
 ايضا دون ان يتركوا مجالا للمراقب ليظن بهم سوءاً أو يشك في ان
 تلك الرسائل تبعث الى لندن او مانجستر او باريس او مرسيلية
 او غيرها من مدن المتحالفين الذين كانوا في الحرب مع تركيا . وقد
 كان العراق في زمن الحرب على عهد الاتراك يرسل المانية واوسترية
 وسويسرة ويطلب منها ماخف حملة . فتأتى البضاعات طرودا في
 البريد ، كالادوية ، وورق السيفارة ، والدانتيل ، والمخزومات ،
 والحردوهات ؛ والطور ، والزخارف ، واقمشة الحرير ، وغيرها
 وقد كان لاصدار البنك نوت العمانى دور مهم في سير التجارة
 في العراق . اساره بين صعود وهبوط فكان ثقل يفيده التجار
 او يضرهم ولا سيما كان سعره الاسمى في المعاملات الرسمية بين
 التجار والبنوك والحكومة يعتبر سعرا حقيقيا في بيع التحاويل

حاجياتهم وكالياتهم ولاسيما بعد ان دخلت تركيا الحرب في ١٩
 اكتوبر في جانب المانية والدول الماركزية فتمخ الحلفاء عنها المراكب
 وسدوا في وجهها سبل التجارة البحرية . وقد كان في ممكس
 البصرة من الاموال والبضاعات والامتعة المنضاربة الانواع شىء
 كثير منها كانت برسم النقل الى بغداد ومنها كانت الى البصرة
 نفسها فلما اخلاها الاتراك بقيت اياما بدون حكومة حتى احتلها
 البريطانيون في ٢٢ نوفمبر ١٩١٤ . وفي هذه الفترة الخالية من الحكومة
 صرفاً العراق الشهير مد السراق ايديهم على الممكس ونهبوا كل
 ما وقعوا عليه من البضاعات فبيعت المنهوبات باسعار بخسة للغاية
 وكان في مخازن البريطانيين والايطالين في بغداد انواع من
 البضاعات كالكاشة حريروقطن وصوف وسكر وشاي ونحاس وبتترول
 وحديد وبن ونياب وفلزات وخردموات وزجاج نوافذ واكياس
 كوني الخ فلما ابعدت الحكومة اصحاب تلك التجارات ومديرى
 المؤسسات كالاسترن بنك، وولنج، وداود ساسون، وستريك سكوت،
 وهنريكس وضعت يدها على مستودعاتهم واخذت منها ما كانت
 في حاجة اليه وباعت مابقى في المزايدة العامة .

التجار خاصة بالامتعة والبضاعات الثقة المالية مقوضة الاركان
 واسعار السلع في نزول مطرد . وصكوك التجامل (الاوراق
 الصورية) تترى في السوق وقصارى الكلام كانت الجائحة
 الاقتصادية تظهر بآتم مطاهرها وتجلي بينها لكل ذى بصر
 ومما كان يؤيد حلول الازمة القاعدة التى قالها الاقتصاديون ان
 الجائحات الاقتصادية تأتى فى ادوار معلومة تتراوح بين سبع وعشر
 سنوات : والذى يتدبر سير الاحوال التجارية فى العراق ثبت لديه
 ان الجائحات الاقتصادية تناب البلاد مرة كل سبع سنين على
 الاكثر . ولهذا لما اعلن النفير العام فى آب سنة ١٩١٤ وقبلت
 الحكومة التركية البديل النقدي عوض الخدمة العسكرية من صنفي
 الاحتياط والرديف ظهر عسر مالى لم يكن فى الحسبان فبلغت الفائدة
 ستين فى المائة لقاء رهن ذهب .

لم يكن دور الضيق الا عهداً قصيراً فاصبحت تلك البضاعات
 التى كانت فى مستودعات التجار فى بغداد نعمة لهم ومنهالا
 يفسدق وابل الارباح والخيرات . فقصد بغداد تجار
 سورية ويران واعلى بين النهريين والاستانبول ليتاعوا منها

المحاضرة الخامسة

تجارة العراق

منذ الحرب العامة حتى اليوم

حالة التجارة في العراق قبيل نشوب الحرب العامة - نشوب الحرب

والتجارة تجارة الحلفاء في الحرب - اصدار البنك نوت العثماني

قانون تأجيل الديون - تجارة المانية في الحرب - الادارة

العرفية والتجارة - احتلال البريطانيين البصرة

وبغداد - اتساع نطاق التجارة في العراق -

مقاديرها مع دول اوربية - دور

الرجعة واسباب الازمة

التجارية

الحاضرة



في سنة ١٩١٤ قبيل ان تشب الحرب العامة وتتحرق بشررها العالم

كانت تجارة العراق على ابواب ازمة ضيقة العري وكانت مستودعات

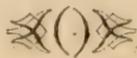
ومدلولها المبادلة والتجارة .

ومما كان ينتقد على كمرك البصرة قبل الحرب انه لم يكن محفوظا من الامطار فكانت مياهها تضرب بالبضاعات المتراكمة المعدة للشحن الى بغداد ولم تتمكن السفن القليلة العدد من نقلها وقد بلغت الشكوى عنان السماء ولا سيما وان شركات الضمان كانت مسؤولة بذلك الضرر ودفع من البضاعات التي تعطب .

وكان يصل الى ميناء البصرة عدد من المراكب البحرية لشركات عديدة منها انكليزية والمانية وروسية وعربية وفارسية وكان يبلغ عدد الشركات عشرة .

وقد دخل ميناء البصرة هذه المراكب بالحوالات الآتية

	سنة	سنة
	١٩١٣	١٩١٢
عدد المراكب	٤٤٥	٥٧٨
مجموع الحمولات طناً	٣٤٦٩٣٩	٣٢٤٤٥٧



وإذا وقع اختلاف بين التاجر والضامن ينتخب أثنان من الخبيرين بالأسعار
 يحكمان بينهما. وفي سنة ١٢٥٤ هجرية ١٨٣٨ م بدأ في المملكة العثمانية
 أسلوب التعريف ولكن لم يصل العراق إلا بعد ذلك الحين . ولم
 يتشبث العثمانيون بتنظيم إدارة الكمارك إلا في سنة ١٢٧٨ هجرية
 ١٨٦١ مسيحية فعينت الحكومة التركية كلني باشا «امين الرسومات»
 وعلى أثر هذا التعيين نظم ممكس بغداد والبصرة وارتفعت الضرائب
 الى ٨ في المئة على أسلوب التعريف وبعد ذلك بمهد طويل النى
 التعريف وشرع التجار يدفعون على أموالهم تلك الضريبة باعتبار
 قيمتها . وقد بلغ دخل كرك بغداد سنة ١٨٩٢ او حواليها ١٣٠٠٠٠
 ليرة عثمانية وفي سنة ١٣٦٦ مالية ١٩٠٦ م بلغ ١٦ مليون غرش
 اى نحو ١٦٥٠٠٠ ليرة عثمانية وفي السنة التالية ارتفعت ضريبة الكرك
 الى ١١ في المئة فبلغ دخل كرك بغداد ٢٦ مليون غرش ثم ارتفع
 الى ١٥ في المئة. وتدفع البضاعات التي تمر من العراق برسم ايران وكذلك
 اخراجات حاصلات العراق الى البلاد الاجنبية ضريبة كرك
 واحداً في المئة .

وان اصل لفظة كرك مشتقة من الحرف اللاتيني *Commericum*

البنك لا يفتح له شعبا في بلاد فارس . وبقى البنك العثماني وحده في العراق وفتح له شعبة في البصرة واخرى في الموصل . ولم يكن هذا الاتفاق من مصلحة التجار بشيء . ولم يأت غيره الى العراق حتى قبيل الحرب اذ انشأ الاسترن بنك مههدا في بغداد .

وفي العراق طائفة من الصيارفة اليهود الذين يقضون اعمال التجار ويحفظون دراهمهم ويقطعون لهم الاوراق ويشتررون ويبيعون لهم بواليجهم على داخل القطر وعلى خارجه .



كلمة في كمارك العراق

ان المماكس قديمة في العراق وقد قلنا عنها كلمة في معرض محاضرتنا عن التجارة في عهد العباسيين ثم رأينا لها ذكرى في القرن السادس عشر في رحلة الدكتور ليونهارث الى بغداد . وقد جاء في مجموعة خطية يرتقى تاريخها الى اوائل القرن التاسع عشر ان ضريبة الكمارك كانت في البصرة ثلاثة في المئة من قيمة البضاعات . وكانت الكمارك في بغداد والبصرة تعطى بالضمان حتى منتصف القرن الماضي ويدفع التجار الى الضامن خمسة في المائة عن قيمة الاموال تقديراً

ويشحن من بغداد او يرد اليها .

وكان يتراوح مجموع الاعمال التجارية في العراق بين واردات وصادرات بين خمسة ملايين ليرة اوستة ملايين سنويا .

ان الادارات المدونة ائمانها في البيان الانف الذكر لا تشمل البضاعات التي تصدر من بغداد الى ايران بل هي التي صدرت الى اوربة واميركة وغيرها من بغداد والبصرة عن طريق النهرو والبحر . سواء آكانت من حاصلات العراق او من ما تى بلاد فارس .

ان هذا البيان لا يشمل ائمان تجارة العراق مع سورية عن طريق البر لان القطرين كانا في حكم دولة واحدة .

البنوك في العراق

ومن اسباب تقدم التجارة في قطرنا في اواخر القرن التاسع عشر وزيادة ثقة اوربة التجارية بنا كان فتح البنوك هنا . ففي سنة ١٨٩٠ نزل بغداد البنك الشاهي الايراني والى . لكن لم تطل مدة اقامته في بغداد والبصرة عهداً طويلاً بل رحل وذلك نتيجة الاتفاق الذي عقد بينه وبين البنك السلطاني العثماني سنة ١٨٩٣ فترك البنك الشاهي العراق لقاء مبلغ من المال تقاضاه من البنك العثماني بشرط ان هذا

الصادرات

سنة	سنة	سنة	سنة
١٩١٣	١٩١٢	١٩١١	١٩١٠

من بغداد

٧٥٥٥٠١	٩٣٠٧٦٠	٧٤٦٨٢٤	٨٥٣٩٦٣
--------	--------	--------	--------

من البصرة

١٩٣٩٢٥٩	٣٢٤٦٥٦٠	٢٥٢٥٨٤٧	١٦٦٨٦٢٤
---------	---------	---------	---------

الواردات

سنة	سنة	سنة	سنة
١٩١٣	١٩١٢	١٩١١	١٩١٠

الى بغداد

٢٩١٤٥٣٦	٢٨٢٢٨١٧	٢٦٦١٤٦	٢٧٣٦٤١٤
---------	---------	--------	---------

الى البصرة

٣٨٩٩٢٧٣	٢٦٣٧٨٠٩	٢٨٥٥٦٧٧	٢٦٣٤٥٩٦
---------	---------	---------	---------

ملاحظات مهمة : ان قسما من الصادرات من البصرة والواردات

اليها وان يدفع المكس في تلك المدينة اذ انها ميناء العراق الا انه

وكانت لنا علائق تجارية كثيرة من ولايات الحكومة
التركية لاسيما عاصمة آل عثمان . الا ان اغلب البضاعات التي كنا
نستوردها منها كانت من مصنوعات اوروبا . وكنا نصدر اليها السمن
والطنافس الفارسية، وقليلاً من جلود الغنم المدبوغة (الميش) والتمر
وقد رأينا ان نهى هذه النظرة العامة بكلمة عن علائقنا التجارية
ببلاد كردستان قبل الحرب . فكان العراق يرسل اليها كل
ما تحتاجه من البضاعات والاقمشة والسكر والبن والشاي والتوابل وغيرها
وكان يستورد منها التبغ ولهذا التجارة خطورة كبيرة لان معظم التبغ الذي
يدخنه العراقيون في لفائفهم هو من التبغ الكردي الذي يأتي من سليمانية
وكوى سنجق وغيرها :

ويأتي من تلك الاصقاع الينا الجوب، والسمن والجبين والصوف
والمن ، والعسل ، والجلود ، والغنم وغيرها .

وقصارى القول ان الحركة التجارية في بغداد والبصرة كانت
كما يظهرها البيان الاتي بالليرات الاسترلينية :



قز سوداء تتخذ عصائب للرأس . وقد شحن الى جدة من الجوب ما يأتي

سنة	سنة	سنة
١٩١٣	١٩١٢	١٩١١
طن ٢٠١٠٠	٤٠٠٠٠	١٨٠٠٠

وكنا نبعث من العراق الى سورية ومصر السمن والماشية (من غنم وبقر) والتمر والطنافس الفارسية والتبناك وغيرها .

وكان يأتيها منها الصابون وخيوط السوتلي والقنب والتيل (وهي خيوط الفضة للتطريز) والكابدون يستعمل في حياكة ازر وعبأت العراق والعجلات وشيء من البضاعات الاوربية المختلفة الانواع . وليس لدينا من الاحصآت ما يظهر مقدار ذلك بالارقام وغاية ما يمكن من الحكم فيه ان علائقناية التجار مع سورية كانت في منزلة رفيعة وكانت تنقل البضاعات اما عن طريق دير الزور او عن طريق برية الشام عن طريق بين المهرين والخابور الى حلب اما صادرات بغداد وحدها الى مصر فكانت تتراوح قيمتها بين ٢٠٠٠٠ و ٣٠٠٠٠ ليرة سنويا . وواردانا من مصر فهي ضئيلة جداً .

على اختلاف أنواعها ويوسق معظمها الى اميركة واوربة والاستانة
وسورية وغيرها من بلاد الله .

وتبعث الينا بالتبذك الاصفهاني «ويوسق منه الى سورية» والصوف والجلود
والايفون والحريير والصبغ والفواكه اليابسة والفواكه الطريئة من
حاصلات بلاد ايران الجبلية . والسمن والقطن والفضة والجواهر
والشال السكشمير ومن المصنوعات الفارسية الجميلة كانية الفضة .

واليك احصاء الصادرات من بغداد الى ايران والواردات منها

باليرة الاسترلينية :

سنة	سنة	سنة	سنة
١٩١٢	١٩١١	١٩١٠	١٩٠٩
٩٦٢٨٣٣	١٢٣٦٦٩١	١٤٣٣٢٠١	١٢٥٩١٣٨
٣٠٢٠٨٧	٢٠٦٦٩٩	٢٨٠١٨٨	٣٢١٦٦٢

ونحو ٧٥ في المائة من التجارات التي توسق من بغداد الى بلاد
ايران تأتينا من بلاد الانكليز والهند .

وكان معظم تجارتنا مع بلاد العرب في الصادرات فكنا نصدر
اليها الحبوب والتمر والكشأند الغباني « والمقرونات » وهي مناديل

فقد كان يبلغ عددهم ١٠٠٠٠٠ زائر فينفقون مدة اقامتهم في بلادنا مبالغ طائلة ويشترون من اسواقنا بضاعات مختلفة ينقلونها الى بلادهم وتجمع بين العراق وايران ثلاثة طرق الواحد من البصرة الى الاهواز براً ونهراً والثاني من بغداد عن طريق خاتقين فقصر شيرين فكر منشاه والثالث من الموصل الى رانية عن طريق اربيل وكوى سنجى. والطريق الثاني هو اهم الطرق التجارية.

ولتجار العراق في البلاد الفارسية وكلاء وبيوت في كرمانشاه وهمدان وطهران وغيرها كما ان للايرانيين في بلاد العراق عدداً من البيوت التجارية. واقول ان اليهود العراقيين والاييرانيين يقومون بمعظم التجارة بين العراق وايران.

كانت تنقل التجارات من بغداد الى قصر شيرين بالقوافل وهناك يقوم عمال التجار بالمعاملات الكمركية لان بلد قصر شيرين تعتبر من الحدود الكمركية بين العراق وايران.

يرسل من بغداد الى ايران جميع البضاعات التي ترد من اوربة والهند التي مر لنا تعدادها وليس من حاجة الى تكرارها فهي تدفع مكسها واحد في المئة حق المرور ويرد الينا من ايران الطنافس الايرانية

من الهند والصين واليابان معاً حتى سنة ١٩١١ ولهذا تتبع ذلك
 الاحصاء حتى لسنتي ١٩١٢-١٩١٣ ايضاً واليك ذلك الاحصاء احصاء
 البضاعات الواردة الى بغداد من الهند والصين واليابان بالليرة الاسترلينية.

سنة	سنة	سنة	سنة
١٩١٣	١٩١٢	١٩١١	١٩١٠
٥٧٢٧٦	٦٦٦١٣٥	٧٤٠٥٦٥	٦٦٤١٤٧



فقد افضى بنا البحث هنا الى علاقتنا التجارية بايران . فاذا
 اردنا ان نصف ونصدق الحكم في الامر نقول ان لولا ايران
 لفقدت تجارة العراق خطورتها لا بل حياتها . وبعبارة اخرى ان
 التاجر العراقي ينزل بلاد فارس منزلة القلب والدماغ في جسم التجارة
 العراقية ويراقب عن كشب الحركات السياسية التي تجرى في لدولة
 التجارية لما لها من الصدى في اعماله واحواله الاقتصادية ومن التأثير
 على ثروته وماله .

ويسر التاجر في السنوات التي يكثُر الزوار الايرانيون الذين
 يؤمون المقامات المقدسة في كربلاء والنجف وسامراء والكاظمين

مع انها لم تتجاوز ٣٦٠٠٠ ليرة استرلينية في سنتي ١٩٠٩ - ١٩١١ وكانت سنة (١٩١٣) ٣٠٤٩١ ليرة استرلينية فقط واما المشحون من بغداد الى الصين فقد بلغ معظمه في سنة ١٩٠٩ في السنوات التي تمتد من ١٩٠٩ - ١٩١٣ وكان ثمنه ١٠٤٠٢٩ ليرة استرلينية ولم يكن في سنة ١٩١٢ سوى ٥٧٣٣ ليرة استرلينية ولا نعرف بضاعات صدرت من ديارنا الى اليابان .

اما التجارات التي يستوردها العراق من الهند فهي التوابل على انواعها (السقوبات) كالفلفل والقرنفل والزنجفيل والهيل والجوز بوا والسكر كم والشاي وغيرها والسكر البلورى والبن والارز والقطنيات والغزل والنيل والتمر الهندي وخشب الصندل وخشب جاوى والرواصير والذارجيل وشمع الشحم واكياس الجففاص (الكوفى) الخ .

ويأتينا من اليابان والصين الثقاب (الشخاط) واقشة الحرير والجوارب وغزل الحرير والانية ، والتوسسة وغيرها ولكن معظمها يأتي من اليابان .

وقد كانت ادارة المماكس في بغداد تخاصي البضاعات الواردة

الانكليزية تعد الاقمشة الصوفية من معامل براد فورد كالجوخ والشال
الالباكه « والفاصونة » (١) وغيرها .

ويرد الينا البن وقضبان الحديد والنحاس . والقصدير ، والتوتيا
والشمع ، وزجاج النوافذ ، والفغفوريات ، والفحم الحجري ،
والمعينات للرى والسقى ومكائن الخياطة واسرة الحديد والدهن
للاصباغ والدهن للمكائن وما كولات محفوظة وبسكويت وغيرها
مما لا يسعنا المقام ان نتوسع فيه .

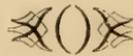
بعد ان بحثنا في تجارات الدول الاوربية والاميركية وعلائق
اعمالها بالعراق رأينا من الواجب ان نرجع الى الشرق وننعم
نظرنا في تجارات دوله واقطاره ونقول كلمتنا في الموضوع . وامامنا
من دول الشرق وامصاره الهند والصين واليابان وايران ومصر
وسورية وبلاد الاتراك وبلاد العرب .

ان الاخراجات من بغداد الى الهند بلغت سنة ١٩١٢ مبلغاً مهماً
فقد ر ١٥٩٤٤١ ليرة استرلينية لاكثره المشحون من الجوب ،

(١) نورد اسماء الاقمشة باللفظ الاعجمي كما تعرف في اسواقنا

ولا نحاول ان نجد لها مقابلا عربيا

سنة	سنة
١٩١٣	١٩١٢
٢٤٦٠٠١	الصادرات ٢٨٥٦٢٠
١٣١٤١٣٨	الواردات ١٤١٥٢٨٨

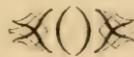


يصدر من العراق الى انكلترة الصوف العواسى والعرايى والكرادى والصمغ العربى والكثيراء وجلود الفم والماعز والبقر المدبوغه ، والعفص والجوب ، والحنظل والتمر والافيون. والحنة والشمير وغيرها .

ويأتينا من بلاد الانكليز بضاعات مانجستر ولنكشير القطنية « كالحام » « والكمبريك » « والجنكل » « واجيت » « والكورنيش » « واليشماغ » وخيوط التيرة والغزل ومما هو حرى بالذكر ان عدداً من البيوت التجارية اليهودية العراقية لها شعب فى مانجستر وقد اسأثرت بشراء البضاعات القطنية فى مظانها وبيعها فى اسواق العراق وايران ولم يتوصل الى مزاحمتها مزاحم من وطنيين وانكليز. ومن البضاعات والامتعة والادوات التى تأتينا من الاسواق

وبعد هذه اللحمة الموجزة في سير تجارتنا مع الدول التي مر ذكرها علينا ان نسهب قليلا في خطورة تجارة بريطانيا معنا. ونوفيا حقها من البحث كيف لاول بريطانيا المنزلة الاولى في البضاعات التي تصدر من العراق وتدخل اليه وقد كانت النسبة المئوية لتجارتها في مجموع تجارة بغداد كما يأتي :

سنة	سنة	سنة	سنة	سنة
١٩١٣	١٩١٢	١٩١١	١٩١٠	١٩٠٩
٣٢٤٦	٣٠٤٧	٣٨٤٦	٣٨٤٦	٣٣٤٤
٤٥٤١	٥٠٤١	٤٥٤١	٤٨٤٥	٥٥٤٨
				الصادرات
				الواردات



اما بمن البضاعات التي صدرت من بغداد الى البلاد البريطانية ووردت اليها منها فتقدر بالايارات الاسترلينية كما يأتي :

سنة	سنة
١٩١١	١٩١٠
٢٨٤٣٤٧	٣٣٠٣٦١
١١٩٩٥٩٧	١٣١٧٧٦٢
	الصادرات
	الواردات

سنة	سنة	سنة
١٩١٣	١٩١٢	١٩١١
١٤٦٥٣٢	٢٢٢٨٢٥	١١٣٥٣٩
٨٢١٧٦	٦٤٠٠٥	٧٢٩٩٨

ولم يكن لتجارة ايطالية مع العراق شأن كبير في اوائل القرن التاسع عشر مع ان علاقتها قديمة بالعراق وقد اشتغل تجارنا مع ليفورنة وجنوة في اوائل ذلك القرن حتى منتصفه . وقد كانت تلك الحركة تنعش في السنوات الاخيرة التي سبقت الحرب العامة . فالبضائع الواردة منها الى بغداد بلغت سنة (١٩١١) ١٥٢٤٢ ليرة استرلينية وفي سنة (١٩١٣) ٢٩٣٤١ ليرة استرلينية الا ان في سنة ١٩١٢ لم تتجاوز ٣٠٠ ليرة استرلينية بسبب الحرب الايطالية مع تركية في طرابلس الغرب .

وللعراق علاقات تجارية بسويسرة يستورد منها المخزومات والشرائط وبعض اقمشة حرير واقصصه بيضاء للسيدات كما انه يستورد من روج قضبان حديد وصناديق خشب لكبس التمور في البصرة وغيرها .

٢٦٤٢٣٤	٢٠٦٨٠١	٢٣٢٣٨١	الواردات
--------	--------	--------	----------

٢٠٦٩٤	١٦٧٩٢	١١٢٠٠	الصادرات
-------	-------	-------	----------

وكانت تجارتنا مع فرنسا في الحقبة التي تمتد بين ١٨٣١ و ١٩١٤ بين زيادة ونقصان الا ان جانب النقصان كان يرجع فبضاعات المانية واليابان وايطالية كانت تزامم البضاعات الفرنسية. فكان يرد الينا من فرنسا اقمشة الحرير من مصنوعات ليون واجواخ سيدان والبوف والسكر بقوالب ولاسيما من معمل سن لوى والمديترانه والسكر البلورى والبن والعطريات والحامض الليمونى والكبريت الذهبى والعشبة والكحل والبقم وكل البضاعات المعروفة والشمع وعرق كونيكا وشامباية وغيرها .

وكانت تشتري فرنسا من العراق جلود الغنم والمعزى المدبوغة والاصواف على اختلاف انواعها والعفص والسكر شيراء والرازيانج وجلود الحلان (الاستراخان) وريش الطيور لزيينة القبعات، وجلود الحيوانات البرية تتخذ منها الفراء ، والتمر .

وقد بلغت تجارة بغداد مع فرنسا من صادرات وواردات المبالغ

الاتية في السنوات الثلاث :

صادرات ٢٣٦١٠

١٠٣٩٥



وإذا رجعنا الى تجارة النمسة والمجر مع العراق نرى ان بضاعات كثيرة كانت ترد اليها من هذه المملكة كقمشة الصوف والاجواخ والشال وورق السيفارة وورق الكتابة والسكر البلورى والسكر المسحوق (الجدم) والحري (الخرداوات) والطرايش والحرز والكهرباء والمرجان الصناعيين والدمالج الخزف وزجاجات المصابيح والبن وقد جاءنا منها سنة ١٩٠٦ البترول ايضا وبقيت تزداد كمية الوارد منه حتى بلغ سنة (١٩٠٩) ٢٢٠٠٠ صندوق ثم اخذت مقادير البترول النمسي بالنقصان الى ان انقطع بتاتا .

وكانت الصادرات الى النمسة قليلة اخصها جلود الغنم المدبوعة والصوف وغيرها .

وقد بلغت الحركة التجارية النمسية في بغداد الارقام الاتية في السنوات الثلاث التالية .

سنة	سنة	سنة
١٩١٣	١٩١٢	١٩١١

الاميركي الذي كان يرد الى العراق منذ عهد وقد كان الوارد منه الى البصرة سنة ١٩٠٦ يفوق نصف مجموع المقادير الواردة في تلك السنة وفي سنة ١٩٠٩ ورد ٣٥٠٠٠ صندوق من البترول الاميركي وفي سنة ١٩١١ وصل الى البصرة مركبان مشحونان من هذا الزيت الاميركي . وكان يرد شىء من النحاس الى العراق .

وقد كانت علائق التجارة تزداد ببلجيكة يوما بعد آخر حتى باتت مبلغا لا يستهان به فقد كان يرد اليها منها السكر بقوالب والسكر البلورى وقضبان الحديد والنحاس والشمع ، وزجاج النوافذ ، والثقاب (الشخاط) واقمشة الصوف والاجواخ وغيرها اما الصادرات من العراق الى بلجيكة فقد كانت ضئيلة في اول الامر ثم اخذت تتوسع قليلا قليلا واليك بيان قيمة الاموال التي دخلت بغداد من بلجيكة وخرجت من هنا اليها في غضون الثلاث سنوات المذكورة بالليرات الاسترلينية .

سنة سنة سنة

١٩١٣ ١٩١٢ ١٩١١

واردات ٣٢٨٧١٩ ١٧٦٨٠٦ ١٨٣٩٢١

اما علاقة اميركة التجارية بالعراق فليست بعيدة العهد ولا يتجاوز تاريخها اواخر القرن التاسع عشر وكان لها في اول الامر قنصل احد التجار في بغداد وهو المستر هرزبر ثم عينت لها قنصلا من ارباب المسلك السياسى . ومعظم تجارة العراق مع اميركة يتوقف على صادرات ديارنا الى العالم الجديد كالصوف والفض والاكثيراء والتمر والطنافس الفارسية وعرق السوس . فقد بلغت الصادرات من بغداد والبصرة الى اميركة للسنوات الثلاث التى سبقت سنة ١٩١٤ كما يأتى :

سنة	سنة	سنة
١٩١٣	١٩١٢	١٩١١
١٣٩٢٢٣ استرلينية	١٢٠٦٤٦	٩٥٥٢٠ من بغداد
« ١٧١٨٠٠	١٢٨٩٤٠	١٣٤٣٨٨ من البصرة
« ٣١١٠٢٣	٢٤٩٥٨٦	٢٢٩٩٠٨ المجموع

وقد لا يكون ذكر للبضاعات الاميركية فى ما كان يرد الى العراق من البضاعات والسلع الاجنبية قبيل الحرب العامة ما خلا البترول

منشطة هذه الفكرة الا ان اعمالها الاقتصادية والتجارية في هذه
الارحاء لم تكن واسعة يعتمد عليها في تحقيق هذه الامنية . واول
مرة اسست في بغداد القنصلية الروسية كانت سنة ١٨٨١ ثم ارتقت
سنة ١٩٠١ الى مصاف القنصليات العامة وفي هذه السنة عينها
انشئت شركة الملاحة الروسية في البصرة وانشى لها فرع في بغداد
وكان في كل شهر يأتي الى البصرة سفينه تجارية فيها امته روسية
اخصها البترول الروسي والواح الخشب و « السموات » واوعيه
الشاي « القوريات » واقداحه « الاستيكانات » وكان اهم الصادرات من
العراق الى روسية تمر البصرة والجلود الاستراخانية او جلود
الحملان وكان تجار (مكاره) ينقلونها براً الى بلادهم .

وقد ورد الى العراق من البضاعات الروسية سنة (١٩٠٨)
٧٩٧٦١ ليرة استرلينية وبلغت سنة (١٩١٢) ١١١٥٤٣ ليرة
استرلينية وسنة (١٩١٣) ١١٨٦٢٥ ليرة استرلينية اما صادرات
العراق الى روسية فقد كانت سنة (١٩٠٨) ٣١٧٠٦ استرلينية
وسنة (١٩١٢) ٧٦٦٥٨ استرلينية وسنة (١٩١٣) ٩٨١٢٩
ليرة استرلينية .

ليرة استرلينية .

فترى من الارقام النى مرت بك ان تجارة المانية مع العراق
كانت تتقدم تقدماً باهراً زاهراً . فكان يرد اليها من المانية السكر
والبن ، والنحاس ، واصباغ الانيلين ، واقمشة الحرير والصوف
والكتان ، والكهرباء والوانى الخزفية ، والبلوريات والمرايا وورق
السيغارة وورق الكتابة ، وخيوط الغزل ، والمضخات والمكينات
للرى والسقى والمشروبات الكحولية ، والثقاب والطرايش ، والاسرة
الحديد والمسامير والاصباغ الدهنية وعروض شتى كحامض الطرطير
وادوية وعقاقير وغيرها .

اما الصادرات من العراق الى المانية فهى العفص والصوف والكثيراء
والجلود والعظام والسقط خرد الكلاب والتمر ولوزوا الخنظل وریش
الطيور والرازيانج وغيرها

نظرة عامة فى علاقة العراق

التجارية بالعالم

كانت انظار روسيه تطمح الى مد نفوذها فى خليج فارس حتى
البصرة منذ عهد بعيد وقد جاءت وصيه القيصر بطرس الاكبر

بضاعات بنسبة ٥ الى ١ بالنظر الى الشركة الالمانية الا ان امر هذه كان يقوى . ومهما بذل البريطانيون من المساعي في تنقيص التجارة الالمانية في بلجكة فكان خمسة ون بالمائة من سكر انفرس الى خليج فارس يشحن على المراكب الالمانية . كما انها كانت تنقل قسما من بضاعات مانجستر وكانت تشحن من حاصلات بلادنا الى اوربة واميركة ومرافىء البحر الاحمر . ولم يأل الالمان جهداً في ترويج بضاعات معاملهم في اسواق العراق وفارس فانفذوا الوكلاء والعمال الجوالين ورتبوا القناصل . وكانت تجارتهم تزداد في العراق زيادة مطردة بلغت قيمة الاموال الالمانية الواردة الى ميناء البصرة سنة ١٩٠٦ ١٠٨٠٦٥٠ ليرة استرلينية وبلغت ٥٢٨٤١٥ استرلينية سنة (١٩١٢) و ١٠٩٥٧٠٤٨٩ استرلينية سنة (١٩١٣) وضمن هذا الرقم الاخير قيمة موادسكة حديد بغداد . ولكن على كل تقدير البضاعات الالمانية الواردة في هذه السنة ب ٩٠٠٠٠٠٠ ليرة استرلينية .

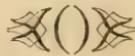
لم تزد صادرات العراق الى المانية زيادة الوارد منها فقد كانت ١٠٠٩٠٠ ليرة استرلينية سنة ١٩٠٦ وبلغت معظمها سنة ١٩١٢ ولم تتجاوز ٣٧٥٧٦٠ ليرة استرلينية . ونزلت في سنة ١٩١٣ الى ٢٢٦١١٢

في سبيل بيع اسهمها في الاسواق اذ كانت تقاطعها انكثرة وفرنسة
 وروسية. ولم يسر اول قطار بين بغداد وسميكة (دجيل) الا في
 اول حزيران ١٩١٤ ولم تتمكن الشركة من ان تقدم في اعمالها الى ما وراء
 سامراء حتى خروج الاتراك والالمان من بغداد سنة ١٩١٧ ولم تقف
 مساعي الالمان في توسيع نفوذهم السياسي والتجاري في العراق وخليج
 فارس عند هذا الحد بل انهم جاهدوا سنة ١٩٠٦ برغبتهم بتسيير
 سفن تجارية بين اوربة وخليج فارس حتى البصرة فسارت مراكب
 الشركة «همبورك اميركة» وكانت تقدر يومئذ التجارة الالمانية في
 البصرة بـ ١٤٥,٠٠٠ ليرة استرلينية سنويا والتجارة الانكليزية والهندية
 بـ ٣٠٠,٠٠٠ ليرة استرلينية واول مركب وصل البصرة من الشركة
 «همبورك اميركة» في آب ١٩٠٦ وكان اول اعمالها انها نقلت السكر
 البلجيكي من انفرس الى البصرة بسعر ٢٠ شلينا الطن فيما كانت الشركات
 الانكليزية تقاضي على كل طن سبعة وثلاثين شلينا باعتبار الطن
 ١٥ هندرويت وبقى هذا الصراع الاقتصادي بين الشركات الانكليزية
 والشركة الالمانية عنيفا. واخذ يشتد ازر الشركة الالمانية رويداً
 رويداً وان كانت تنقل المراكب الانكليزية والهندية سنة ١٩١٣

حساب الدج بنك، وورتابمرك فرنس بنك Wurttembergis
 che Vercins Bank وكان المستر كولا يجمد في حاضرة
 الاتراك لترويج مصالح المانية في الشرق وبين سنة ١٨٩٣ و ١٨٩٦
 مدت شعبة اخرى من الخط انتهت في قونية . واخذت منذئذ
 فكرة خط بغداد تختم في الافكار وشرع الالمان يتحينون الفرص
 لتحقيق امانهم وانجاز رغباتهم حتى كانت سنة ١٩٠٣ فظفروا بامانيتهم
 ونالوا امتياز ذلك الخط العظيم من الباب العالي بشروط كلها يجانبهم
 وكان هذا الامتياز يخول الالمان حق مد الخط من قونية ماراً باذنة
 وحران والموصل وبغداد حتى مرفأ البصرة الخطير ويجوز لهم مد
 شعبتين الواحدة تنهى الى حلب والاخرى الى الزبير . ولهم بعض
 الحقوق في الملاحة في دجلة والفرات . وكان الالمان قد علقوا الآمال
 الطيبة السياسية والعسكرية والتجارية على هذا الخط الخطير الذي
 به يسودون على الشرق ويزاحمون سياسة بريطانية وتجارتهما وكان
 تدشين سكة حديد بغداد بوضع الحجر الاول في جانب السكرخ من
 حاضرنا يوم السبت الموافق ٢٧ تموز سنة ١٩١٢ في عهد ولاية جمال
 باشا وداومت الشركة على اعمالها ببطء لما كان يمترضها من العقبات

ان قام بعثة في مصر وسورية على طلب السفير الانكليزي في الاستانة
السر د . غوردن سنة ١٨٢٩ . وبين ان شق قناة السويس من
الممكنات .

واذا رجنا الى تأثير ترعة السويس على تجارة العراق اقول
ان هذا المشروع وحده احيا تجارتنا وربطها باوربة لا بل بعالم
الحضارة باجمعه . او بعبارة اخرى انقلها عن بسمارك وهي قوله ان
قناة السويس هي النخاع الشوكي في المملكة البريطانية ويحتمل
القول هنا انها النخاع الشوكي في تجارة العراق ايضا .



المالية وتجارة العراق

بعد حرب السبعين التي نشبت بين فرنسا والمالية . دخلت
هذه الدولة في طور جديد من الحياة السياسية والتجارية . وشرعت
تطمح الى بسط سلطانها وتوسيع تجارتها في المسكونة واتجهت انظارها
الى بلاد الاتراك وما حكمهم المترامي الاطراف الا انها لم تشرع باصر
فعال نافذ في هذا الباب الا منذ سنة ١٨٨٨ اذ نال المستر الفرد كولا امتياز
من الحكومة العثمانية لمد خط حيدر باشا الحديدى حتى انقره وذلك

يوصل خليج العرب بنهر النيل وأتمه دارا الاول الماذى . وبعد ان طمى كراه الرومان وبقي حتى عهد العرب وقد فكر هرون الرشيد بشق السويس الا ان جعفر البرمكى اثناه عن فكره وهول له الامر وخوفه ان تصل سرايا الروم وسائر الفرنجة الى جدة فيخربون المواطن وقال له ان خرق السويس خرق في الاسلام وكان رأى العلماء في ان بحر الروم اعلى من نهر القلزم واذا خرق ما بينهما طمى البحر على ارض مصر وغرق عبدال وساحل الصعيد وسواكن وزيلع والنوبة وسواحل اليمن وجدة ومدين وايلة وفاران وغير ذلك فرجع الرشيد عن فكرته. وتجددت هذه الفكرة عند السلطان العثمانى مصطفى الثالث وعهد بدرس المشروع الى البارون دى توت فمات السلطان قبل انجاز فكرته .

وكانى بالدهر قد حفظ لشق هذه الترع المهندس الفرنسى الشهير فردينان دى لسبس فجمع بين مياه بحرين تجاريين ووصل آسية بسواحل افريقية وكان الاحتفال بفتح الترع فى ٢٠ ت ١٨٦٩م
ومما لا يجوز لنا ان نضرب صفحا عن ذكره ان دى لسبس استفاد فائدة عظيمة من مباحث جسنى Chesnoy وتقريره بعد

وكان هناك خط وصل من القرنة الى بغداد يمر حوالى مدن الفرات
 كالقرنة وسوق الشيوخ والسماعة والحلة وكر بلاء والمسيب وبغداد.
 وكان لاريل خطان حوالى التخوم الفارسية يمر براوندوز
 والثانى بطريق راية الى قلاديزة وكان اكبر بلاء خطان احدهما
 الى بغداد بطريق الحلة والثانى الى السكوفة بطريق النجف .



ترعة السويس



يجدر بنا ان نقف هنا قليلا وندرس تاريخ هذه الترعة وخرقها
 وخطورتها فى الملاحة وسير السياسة والتجارة لما لها من الاثر الخطير
 فى تطور تجارة العراق فى الحقبة التى هى موضوع بحثنا اليوم . كان
 وصل بحر الروم (البحر المتوسط) والبحر الاحمر مرمى انظار
 كثير من الملوك الذين سادوا مصر ومدوا سيطرتهم على آسية وافريقية
 ومن اولئك الذين زرعوا الى القيام بهذا المشروع الخطر كسزوسترس
 واسكندر وقيصر والخليفة عمر بن الخطاب و نابوليون الاول ومحمد
 على خديوى مصر . وقد شرع نيخوس hechos بشق جدول

العالى ويضاد مصلحة البريد العثمانى فتوصلت الى الغائه .

وكان البريد العثمانى يسير فى اول امره من بغداد الى دمشق
وفى سنة ١٩١٢ بدأ يسير من بغداد الى حلب . وكان للاتراك بريد
آخر يسير من بغداد الى اسطنبول « بواسطة التبر » فيسافر من بغداد
فشهرزور فالموصل فماردين فدياربكر فسيواس فكيانغرى فازميد
وكان يمر بأنين واربعين محلا . والشقة التى يقطعها بين مدينتنا
ومقر السلطنة تناهز ٢٨٠٠ كيلو متر . هذا ما خلا البريد الذى كان
ينقل الرسائل فى داخل قطراننا من مدينة الى اخرى ومن قرية الى
ثانية . وهناك بريد آخر يسافر الى بلاد فارس .

وفى سنة ١٨٦١ انشأت الدولة العثمانية فى العراق ادارة البرق
ومدت اسلاك التلغراف . واخذ عملها يتقدم تقدما سريعا وكانت
خطوط التلغراف فى العراق تقسم كما يأتى :

- (١) الفاو . البصرة . القرنة . بغداد . كركوك . اربيل . الموصل .
- (٢) بغداد . الفلوجة . هيت . عانة . مسكنة . حلب .
- (٣) بغداد . خانقين . كرمانشاه . طهران .
- (٤) الموصل . نصيبين . ماردين . دياربكر .

في دجلة والفرات كما تعلمون وكذلك سير الاكلاك التي تنقل البضاعات
والمؤن في دجلة من ديار بكر حتى بغداد . وفي الفرات نوع آخر من
السفن وهو الشختور . وتنقل القفف في المهر بعض الفواكه
والخضراوات ومواد الابنية .

ومن الاعمال التي قام بها البريطانيون في العراق ترويجا لاعمال
التجارة وسرعة المراسلة بين هذا القطر وسورية انشأواهم بريد
الهجين بين بغداد والشام . انشأت هذا البريد الشركة الهندية
الشرقية حوالي سنة ١٨٤٢ وكان العاملان الاكبران في اخراج هذا
المشروع من حيز القوة الى حيز العمل القنصل الانكليزي والآخرى
الشهير رولنسون والمس ترهني بلوص لنيج . وكان هذا البريد
بمهددة القنصل الانكليزي العام في بغداد يسافر مرة في الاسبوع
ويقطع المسافة بين عاصمة العباسيين وعاصمة الامويين بستمائة ايام
في الحد الاعظم . وكان يحمي سيره بعض شيوخ الاعراب الذين
كانوا يتقاضون جرايات بدل خدمتهم هذه .

وبلغ هذا البريد منزلة من الثقة عند التجار الوطنيين والاوربيين
الا ان الحكومة التركية رأت ان وجوده يحجف بحقوق الباب

لندن وقطعت دجلة سنة ١٨٦٢ . وفي سنة ١٨٦٧ زاد مدحت باشا الشهر عدد البواخر العثمانية . وبقيت المراكب العثمانية بعهدة الادارة النهرية حتى اشترها السلطان عبدالحميد فسميت الادارة الحميدية وفي سنة ١٩٠٧ نشأت فكرة ضم المراكب العثمانية الى المراكب البريطانية الا ان المفاوضات في هذا الشأن تركزت في سنة ١٩١٠ بعد ان ارجأ دار الندوة الحوض فيها وذلك في ١١ اكتوبر سنة ١٩٠٩ في عهد وزارة حسين حلمي باشا .

وقد كانت بواخر لنج تنقل البريد الاوربي الذي يأتي من طريق الهند مع بريد الهند الى البصرة وبغداد ومن هاتين المدينتين الى الهند واوروبا . وبقي البريد الانكليزي مستمرا حتى نشوب الحرب العامة سنة ١٩١٤ .

فالسفن التجارية الانكليزية والعثمانية غيرت اسلوب الملاحة في النهرين دجلة والفرات . ولاكن سير البواخر في الفرات لم يكن مطردا بل غاية ما هنالك ان طائفة منها صعدت الفرات حتى بلغت مسكنة في اسفار معدودة واقطع سيرها فيه وبقيت تمخر عباب مياه دجلة ذهابا وايابا بين البصرة وبغداد . ومع هذا لم يقف سير السفن الشراعية

تجارية « دجلة » و « نيتوكريس » و « كومت » وانضمت اليها « الفرات » التي كانت في بوشهر وفي السنة التالية وصلت هذه السفن بغداد . وفي سنة ١٨٤١ وصلت الباخرة الصغيرة « نمرود » مسكنة على الفرات .

وبعد ان تم الفحص وانتهت البعثة بمهمتها قررت الحكومة البريطانية ان ترجع ثلاثا من السفن ويقوم عوضها شركة تجارية انكليزية لنقل البضاعات والمسافرين . فتقدم توماس كيرلنج وورغب في تأليف هذه الشركة وبناء البواخر التجارية فلاقى طلبه بعض الصعوبات من حكومة الاستانة المركزية . وسبب ذلك ان الحكومة التركية المحلية في بغداد كانت قد ابتاعت باخرة وسمتها « بغداد » في عهد الوالي كوزلكلي محمد رشيد باشا (١٢٧٣) (١٨٥٦ م) و ارادت ان تنشيء غيرها فتقوم في الملاحة في دجلة والفرات ولكن باخرة بغداد لم تقم حتى القيام بنقل البضاعات ولم تف بالمرام فسعى آخذ الحاجة يوسف عزرا ابراهام كرجي بانشاء شركة ملاحه ولكن مساعيه خفقت وباتت فكرته عقيمة وفي خريف سنة ١٨٦٠ تألفت شركة الملاحة في دجلة والفرات لمؤسسها لنج وبعد ذلك انزلت الباخرة

للملاحة وأنه يجمع بين سورية والهند عن طريق خليج فارس . فارادت الحكومة البريطانية ان تكون على بينة من الامر فارصد مجلس العوام ٢٠٠٠٠ ليرة استرلينية لسباقترح جسنى . وفي سنة ١٨٣٥ اتت البعثة برئاسة الكولونل المذكور ومعاونه الثنيان (١) هنرى لنج ومهما باخرتان وهما « دجلة » و « الفرات » فوصلا سالمين الى بيره جك . الا ان الباخرة « دجلة » غرقت في نهر الفرات على اثر عاصفة ثارت هناك وغرق معها عشرون من طاقمها بينهم . بلنج اخو الثنيان اما الباخرة « الفرات » فقد وصلت البصرة ثم بوشهر وفي سنة ١٨٣٧ تركت هناك .

وفي سنة ١٨٣٧ خلف لنج Lynch جسنى في رئاسة « بعثة فحص الفرات ودجلة » وقام بفحص مجرى دجلة من ارمينية حتى البحر وفي سنة ١٨٣٩ بعثت الشركة الهندية الشرقية بثلاث سفن



(١) اخترنا هذه الكلمة لتعني معاون الربان او القبطان الثاني

في السفينة .

في الحجر الصحي بحجة انها كانت تعيق الحركة التجارية .
 ولا نغفل عن ذكر التربية والتهذيب والمدارس ومؤثرات
 احتكاكنا بالاوربيين التي غيرت مناخ عيشنا وانظمة بيوتنا واورثت
 في نفوسنا ميلا الى الكماليات في ترتيب لباسنا واثاث بيوتنا اذ ان
 العراقي فقد زهو العيش بعد سقوط الدولة العباسية ونسى ما كان
 عليه الاجداد من الترف والرخاء فعاد يقتبس من الغرب في هذا
 القرن ما عطاها في القرون الوسطى ولكن الوديعه رجعت اليها
 قشيدية وقد عاجلها الايادي العاملة في غضون ستة قرون حتى جعلها
 موافقة لروح العصر الحاضر وفقا لناموس النشوء والارتقاء. وحمنا
 هذا التغيير الى توريد البضاعات من ممل اوربة وافضى بنا الى
 توسيع التجارة في هذه البلاد .

جرت السياسة الاوربية شوطاً بعيداً في تجارة العراق في هذه
 الحقبة . فقد رأينا في محاضرتنا الاخيرة ان البريطانيين والبرتغاليين
 والهولنديين والفرنسيين يتبارون في الهند وخليج فارس والعراق
 بتجاراتهم وسياستهم الا ان الفوز كان للبريطانيين . وفي سنة
 ١٨٣١ قام الكولونل جسني يسبر اسفل الفرات وأثبت انه يصلح

الاقتصادية عندنا نزوع الأثريين الى استطلاع العاديات المدفونة في ارضنا والبحث عن المدن القديمة من بقايا الحضارات الغابرة التي كانت قدمت اطنابها على عدوات دجلة والفرات وسواعدهما اجل ان البعثات العلمية الأثرية توالى منذ اوائل القرن التاسع عشر وبينها الانكليزية والفرنسية والالمانية والاميركية . فعرفت بكتباتها هذا القطر للاوربيين والاميركيين .

وكان للمؤسسات الصحية (الحجر الصحي والمستشفيات) التي انشأها تركية في بلاد الرافدين يد عاملة في تسهيل سبل التجارة وتوسيع نطاقها كيف لا وهذا القطر كان عرضة للأمراض الوافدة منذ الاعصر المتوغلّة في القدم لاسيما للوبا والطاعون الدملي والهيضة وغيرها . فكانت تفتك هذه الامراض الوافدة في العراق فتخلى المدن العامرة من سكانها وتتركها قاعاً بلقما يمشش فيها البوم وينفق الغراب اذ كان السكان يجهلون طرق الوقاية كما كانوا يجهلون وسائل الشفاء . ولا حاجة الى التصريح ان في مثل هذه الاحوال تكسد الاسواق وتقف المعاملات وتفقد الثقة لا بل تنقرض البيوت التجارية . وقد ينتقد بعضهم الاساليب التي كان يسير عليها الأتراك

تمتد من سنة ١٨٣١ حتى سنة ١٩١٤ والفضل في هذا التقدم يرجع الى الحركة الكونية العظمى التي اخذتنا بتيارها . تلك النهضة التي قلبت العالم الاوربي ونفضت عنه غبار الجحود والخبول ودفعت به بحري في مضمار الاختراعات والاكتشافات . وان يوفق بين النظرى والعملى . ويسخر البخار والكهربائية في سبيل نقل البضاعات واخبار التجار . كما ان اختراع الادوات والآلات التي تتحرك بالبخار قلبت اساليب الصناعة القديمة ووسعت نطاقها اى توسيع فخرج الاوربيون في طلب المواد الاولية لمعاملهم الكبرى وكان اله راق من الاقطار التي وجهت انظارهم لشهرة خصبه وريه وكثرة مواشيه ونظراً الى اتساع المعامل عندهم ضربوا في مناكب الارض وشرقوا وغربوا في الممورة وطافوا بلاد المسكونة بمصنوعات معاملهم يريدون لها مندفعات وتجار يبتاعونها . فهبطوا قطرنا ببضاعاتهم المختلفة وسلعهم المتضاربة الأنواع . فوجدوا فيه سوقاً رائجة لموقع العراق الذي يجمع بين قطرين عظيمين يسكنهما مسلمان سامى الجنس وايرانيه .

ومما زاد حركة التجارة هنا وشوق الافرنج الى تأسيس المعاهد

﴿ تجارة العراق ﴾

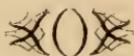
(منذ سنة ١٨٣١ - ١٩١٤)

﴿ () ﴾

بعد ان ضربت الحكومة التركية المركزية المراكز المالية (الكولة مندية) في بغداد ضربة قاضية واستأصت شأفة نفوذهم من العراق بعزل الوالى داود باشا الشهير ونفيه وقتل من كان قد بق منهم على يد لاز على رضا باشا استتب لهم الامر فى هذه الديار وتسلمت زمام الاحكام . واخذت ترسل الوالى اتر الاخر دون ان يفيدوا البلاد فائدة تذكر لاسيما من الوجهة التجارية التى هى موضوع بحثنا ما خلا بعض الولاة الذين لا يتجاوز عددهم اصابع الكف الواحدة وفى مقدمتهم المصلح الشهير مدحت باشا الذى خلف فى العراق مآثر جليلة تم عن رغبته فى اصلاح المرافق الاقتصادية واهياء الزراعة والصناعة والتجارة .

مهما نقل عن سائر الولاة الاتراك واهمالهم امر التجارة فى وطننا المحبوب والقعود عن السعى فى سبيل مروجات الاعمال الاقتصادية فقد تقدمت تجارة العراق تقدما خطيرا فى الحقبة التى

المحاضرة الرابعة



(اسباب رقى التجارة فى هذه الحقبة - سياسة اوربة فى العراق -)

(بعثة جسنى سفن التجار فى دجلة والفرات - شركة لنج -)

(انشاء البريد والبرق - ترعة السويس - المانية فى العراق سكة)

(حديد بغداد - تجارتها معها - مع روسية، مع اميركة، مع)

(بلجيكة - مع النمسة والمجر - مع فرنسة، مع ايطالية)

(مع سويسره، مع بريطانيا - مع الهند والصين)

(واليابان - مع ايران - مع سورية -)

(ومصر - وبلاد آل عمان -)

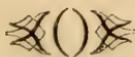
(البنوك فى العراق)

(الكمارك)

(فيه)



فأهم يجلبون جوخا من اوربه وشاشا ريفياً من البنكالة وكل أنواع
الاقمشة من سورات ويسكنون البصرة منذ ان اضطروا الى الخروج
من اصفهان اناها من بمبي وكرون (بندر عباس) ويسكن في بغداد احد
مستشاري الانكليز مع بعض كتبة وتاجر من الشركة الشرقية التي تعود
الى هذا الشعب . اما القنصل الفرنسي فانه يقضى حياة رخية بقدر
ما يمتد كمن منها واكنه بدون تجارة . وليس هناك من ثمة هولنديون .
اما سكان هذه المدينة فأهم يتعاون الابازير والتوابل من خارك
ويتعاطى التجار الوطنيون تجارة البن مع اليمن بنطاق واسع .
وفي البصرة تجار يتاجرون تجارات واسعة لحسابهم الخاص مع
البندقية وليفورنة بوساطة حلب .



« الكوجرات » « والخطارة » والسكر . ويصدر التبناك من ايران الى سورية بوساطة العراق والصوف والعفص والكثيراء الى اوربة وجاء في تقرير فرانسى مخطوط لترجمان قنصلية فرنسا في بغداد المسيو آشيل مراديان (توفى سنة ١٨٩٥) انه كان يرد الى العراق من البضاعات الفرنسية في اوائل القرن التاسع عشر بوساطة الاستانة وحلب ما يبلغ قيمتها ثلاثة ملايين فرنك ومنها الجوخ والمخمل « والاسطيفو » والپول « والطرطر » والقيطان والقرمز والبقم . وكانت تبلغ الصادرات ٨ ملايين فرنك منها شمال قشمير والحجارة الكريمة والآلى البحرين .

ومما يؤيد ورود الجوخ من فرنسا اسماء اجناسه التى لاتزال معروفة الى اليوم فى العراق ومنها « البوف » « وسيدان » وهما على اسمى بلدين فرنسيين .

وحرى بالموقف ان ننضم هذه الفذلكة التاريخية عن تجارة الاوربيين فى العراق بما كتبه الرحالة نيهر عند زيارته هذه البلاد سنة ١٧٦٦ قال :

للانكليز القسط الاوفر من التجارة بين الشعوب الاوربية

على طريق ديار بكر ونزل العراق بعض البيوت التجارية الارمنية
وجاء ذكر اسفار اهالى لندن وتجارها الى العراق منذ
سنة ١٥٨١ ومنهم جون نيوبرى .

وقد كانت القرنة في سنة ١٥٨٣ دار مكس للاتراك فيدفع التجار
هناك ضريبة على سلعمهم .

وفي سنة ١٠٧٦ هجرية (١٦٦٥ م) اغرق حسين باشا والى البصرة
طائفة من سفن التجار في مرفأ القرنة وكانت مشحونة بضائم
بقصد ان يسد هذا الثغر بوجهه والى بغداد الوزير ابراهيم
باشا الذي كان قد اذنه الباب العالي لمحاربهه واخرجه من البصرة .

ذكر الملازم الانكليزي ويلهم هود الذي رجع من الهند الى
انكلترة على طريق العراق في سنة ١٨١٧ ان اليهود كانوا يتعاطون
الصيرفة ويبيعون السفائح على عملاهم في حاضرة العثمانيين .

وامتازت هذه الحقبة باتساع تجارة القهوة والنيل والتوابل
والشاش والجوخ والجواهر ، والطنافس ، وقطع الشال من مصنوعات
ايران واشلمة من صنع الاستانبول والمناديل المطرزة والمزركشة وآنية
الحزف التي كانت تأتي من ليفورنه وجنوة وكان يأتي من الهند

الهند كالمرجان والزمرد (وكان لها سوق رائجة في مصر) والزعفران وغيرها من الفواكه كالزبيب والتمر والتين واللوز وغيرها مما لا اذكره وانواع كثيرة من الحرير ومناديل تركية وما خلا ذلك جياذ الحيل ويرسل منها مقادير وافرة الى الهند سنويا بطريق فارس الا ان اكثرها بطريق هرمز. ويتقاضى منها ملك البرتغال مبلغا كبيرا ضريبة مكس اى اربعين دوقة على كل راس. يدفعها التجار بارتياح اذ ان التجار الذين يجلبون الحيل يدفعون نصف المكوس على البضاعات الاخرى. وبعض تلك الجياذ ترسل الى سورية وبلاد الاناضول واوربة حيث تباع او تهدي الى الامراء والى غيرهم من الرجال الممتازين.

وكان يهود بغداد يذهبون الى فارس للتجارة والاعمال كتبريز وسائر مدن تلك الدولة وقد جاء ذكر ذلك في رحلة لاحد الايطاليين الذى هبط تلك البلاد في الربع الاول من القرن السادس عشر.

ومنذ احتل الاتراك بغداد احتلالا نهائيا في عهد السلطان مراد الرابع اتسع نطاق التجارة مع القسطنطينية على طريق سورية وبنوع خاص

(الذين لهما مدن وصياصى فى تخومهما ويتمكنان من قطعهما فمع ذلك انهما يعتنيان باصر المراسلة بينهما ويربان لهذه الغاية الحمام الزاجل (وخصوصا فى البصرة) فيبعث بالرسالة عند الحاجة من البصرة الى بغداد مع الحمام .

ولما تصل السفن المشحونه ببغداد يضرب التجار (لاسيما اولئك الذين يجلبون التوابل لترسل الى بلاد الاتراك عن طريق البحر) خيامهم فى خارج مدينة طيسفون فى ساحات مكشوفة حيث يحفظون توابلهم سالمة داخل اكياس حتى يعزموا على ارسالها فى القوافل ومن ينظر الى تلك الخيام من بعيد يظن ان هناك جنودا مرابطة وليس تجاراً ويتوقع ان يرى اسلحة وليس بضاعات . وظننت فى نفسى ان لم اكن على مقربة منها لبادرتى هذه الفكرة وجاء الى مخيمنا بعض التجار الذين وصلوا مع تلك المراكب وكان بينهم جوهرى قد جلب معه كثيراً من الحجاره الكريمة : كالماس وعقيق ابيض ، يعمل منه قبضات خناجر لامثيل لها ، وياقوت وزبرجد ولازورد الخ وكان التجار يخفون تلك الحجاره ولا يظهرونها لصاحب المكس . وكانوا يرسلون من الحجاره الكريمة شيئاً الى

في المراق حتى في الايام التي كنت في بغداد وتكاد تعظم خطورتها
 لولم تبعث اليها بالمؤن المدن التي في اعالي الفرات ودجلة لاسيما
 الموصل . . ولهذا فان الهيرين ضروريان كل الضرورة ليس لنقل
 المؤن فقط كالحبوب والخمرة والفاكهة الخ بل لورود البضاعات
 بانواعها وكانت ترد يوميا سفن عديدة مشحونة ولهذا فقد كانت
 هذه المدينة مودع تجارات كثيرة (نظراً الى موقعها الموافق)
 وكانت تأتي البضاعات من اماكن كثيرة سواء كان بحراً او براً
 لاسيما من بلاد الاناضول وسورية وارمينية والقسطنطينية وحب
 ودمشق الخ لتوسق بعدئذ الى الهند وبلاد فارس الخ . ومن باب
 الاتفاق لما كنت هناك في اليوم الثاني من شهر ديسمبر سنة ١٥٧٤
 رسي ٢٥ سفينة مشحونة توابل وعقاقير اخرى ثمينه اتت بحرامن
 الهند بطريق هير من الى البصر التي هي من مدن الاتراك واقعة في التخوم
 فصعدت في النهر في الوجة الجنوبية الشرقية في سفر دام ستة ايام هناك
 افرغت بضاعاتها في سفن صغيرة فنقلتها هذه السفن الى بغداد وقد
 قال لي احدهم ان ذلك السفر دام اربعين يوماً ونيف . ونظراً الى ان
 طريق الماء والبر هما بايدى ملك العرب وصوفي ايران (كذا)

ومنذ سنة « ١٦٣٩ » كان للشركة وكالة في البصرة دامت ثلاث سنوات . وكان رئيس الوكالة يشغل منصب القنصلية له امتيازات جمّة له حرسه الخاص ومدافع امام داره ويتقدمه في سيره في الطريق خيالة بايديهم دبابيس مفضضة . وكان لقنصلية البصرة وكيل في بغداد من سكان العراق وفي سنة ١٧٩٨ ارسلت الشركة وكيل انكليزيا في بغداد عين قنصلا وفي سنة ١٨٠٢ اعترف الباب العالي بالنيابة السياسية الانكليزية رسميا في بغداد .

وفي سنة ١٨٠٠ ارسلت الشركة وفداً الى شاه ايران وبعد ان انهى مهمته رجع في نيسان من سنة ١٨٠١ على طريق بغداد وكان يومئذ الوالي سليمان باشا فاحتفي به واي احتفاء .

ومندسنة ١٨٢٠ اوقيل ذلك كان يرسو امام القنصلية الانكليزية في بغداد مركب وقد رفع العلم البريطاني .

وقد جاء في رحلة لاحد الهولنديين الذي زار العراق في النصف الاخير من القرن السادس عشر فوائد عن تجارة هذا القطر لاغنى لنا عن ايرادها لما فيها من الوصف الدقيق والمعلومات الثمينة قال رحالتنا الدكتور ليونهارت رودلف ماتعريبه : ان الفاقة شديدة

عن كل البضاعات التي تصدرها وكان راس مال الشركة باديء بدء
 ٧٢٠٠٠ ليرة استرلينية . وكانت ارباحها تقسم في كل سفر وتبلغ
 مائة بالمائة ولما كانت سنة ١٦١٢ بلغ راس مالها ٤٠٠،٠٠٠ ليرة
 استرلينية . وزادت خطورة هذه الشركة فايد امتيازها الملك جيمس
 الاول سنة ١٦٠٩ . واتسع نطاق اعمالها ولبست لباس السياسة
 في الهند وبلاد المغول وخليج فارس والعراق . واوفدت الوفود
 والممثلين الى الملوك والامراء . وقاومت البرتغاليين في خليج فارس
 واستتوات سنة ١٦٢٢ على مضيق هرمز ولعبت دورا مهما مع
 الهولنديين . وكان لها وكالة في بندر عباس اغلقت سنة ١٧٦١
 وفتحت وكالة سنة ١٧٦٣ في بوشهر ومنحهم شاه ايران كريم خان
 في بوشهر امتيازات خطيرة . سمح لهم ان يشتروا اراضي بقدر
 كفايتهم وان يفتحوا وكالات في كل مرافئ الخليج وان يضعوا
 مدافع في وكالتهم وعفاهم من المكوس ومنع غيرهم من دول اوربة
 ان يجلبوا بضاعات الصوف وامر بمساعدتهم في تحصيل ديونهم وعفا
 الدالين والخدمة وكل من انتسب الى الوكالة من دفع الضرائب
 والرسوم .

مهما كان من امر البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين في تجارة العراق فانهم لم يلبغوا شأوا البريطانيين من النفوذ واتساع الاعمال التجارية في هذا القطر . فان ولاية بغداد والبصرة روجوا مصالحهم وعاونوهم في مشاريعهم الاقتصادية واذ كانت علاقتنا السياسية والاقتصادية مرتبطة بهذا الشعب رأينا من الضروري ان نتوسع في تاريخ تجارة البريطانيين في خليج فارس والعراق .

اول اسطول انكليزي رسا في مياه الهند كان بقيادة فرنسيس درك « Francis Drake » وذلك سنة ١٥٧٨ ولكنه لم يتمكن من الوصول الى الشواطىء الهندية . وفي السنة التالية جاء الهندي المراكب البرتغالية القسيس توماس ستفنسن فكتب رسائل الى انكلترا كان لها وقع على التجار هناك وحركت بعضهم الى الظن الى تلك الاقطار النازحة . وفي سنة ١٥٩٩ تأسست شركة تجارة الهند الشرقية الانكليزية وفي ٣١ ديسمبر ١٦٠٠ منحت الملكة اليصابات هذه الشركة امتياز حرية التجارة في الهند الشرقية وافريقية وآسية وخواتها حق لسن الشرائع والحكم في الجزاء بشرط ان لا تضاد شرائع الدولة الانكليزية . واعفها من الضرائب

ويكفيه تعريفاً المثل الفارسي القائل اذا كان العالم خائفاً فهدم من فضه .
 وكان نفوذ البرتغاليين يمتد من الحبشة الى الصين والى اليابان
 وكان لهم معاهدات مع كثيرين من شيوخ بلاد العرب وكانوا
 القوة المسيطرة على البحر الاحمر وخليج فارس . لابل تقدموا الى
 البصرة وحافظوا مؤقتاً على موقعهم هناك حتى سنة ١٧٥٧ فزحوا
 عنها ولم يرجعوا اليها .

وقد سعى الهولنديون في مد تجارتهم الى بلاد الهند وزاحوا
 البرتغاليين واستولوا على ملقا وسيلان وكووا وكان لهم وكالتان
 في بلاد فارس وقنصل في البصرة بقي هناك سنوات عديدة وسافر
 حوالي سنة ١٧٥٢ ولم تعين حكومة هولاندة غيره حتى اليوم .

وفي سنة ١٦٧٩ عين لويس الرابع عشر بمرسوم رئيس السكرمليين
 قنصلاً فرنسياً . وفي سنة ١٧٤٠ تعين مطران بابل اللاتيني قنصلاً
 في بغداد وبقي المطارنة يقومون بهذه المهمة نصف قرن ونيف .
 وفي سنة ١٧٩٦ - ٩٧ زار بغداد بعثة سياسية فرنسية وعينت معتمداً
 للعلاقات التجارية وفوضت اليه امر القنصلية . وهو جان باتست
 روسو الذي كان وكيل الشركة الهندية الفرنسية في البصرة .

بعض الخسارة باكتشاف فاسكودى غاما الطريق الجديدة الى الهند . وخسرت بلادنا شيئاً من خطورتها التجارية والاقتصادية واستأثر البرتغاليون بحاصلات الهند المرغوب فيها فى اسواق اوربة . وفقد حكام صرافى بلاد العرب والعراق المـكوس التى كانوا يتقاضونها على حاصلات الهند وبضاعاتها .

وفاز البرتغاليون فوزاً ميبناً فى عالم التجارة وقبضوا على زمام الملاحة فى خليج فارس والبصرة . ولما قسم البابا اسكندر السادس مناطق العالم الى امم اوربة بين سنة ١٤٩٣ وسنة ١٤٩٤ كان قد سبق ولقب البرتغال « رب الملاحة التجارية والفتوح والتجارة مع الحبشة وبلاد العرب وبلاد فارس والهند » اى مع كل امصار آسية الجنوبية .

وبعث البرتغاليون باسطولهم الى خليج فارس فى سنة ١٥٠٩ بامررة المبدأ America فحارب اساطيل العرب والمصريين المتفقة واستظهر عليها . واكن لم ترسخ للبرتغاليين قدم الا بمساعى الفونس دابوكر ك اذاستولى على هرمن استيلاء باتا سنة ١٥١٥ . وان لمضيق هرمن خطورة تجارية وسياسية جلبت اليه انظار الامم العظيمة

مرة بمظهر الحقيقة .

(تجارة العراق في عهد الأتراك حتى سنة ١٨٣١ : -)

احتل السلطان سليمان القانوني بغداد سنة ١٥٣٤ وبقيت بيد الأتراك حتى سنة ١٦٢٣ فدخلها في هذه السنة الإيرانيون حتى استرجعها السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٨ وقد كان قبيل دخول الأتراك العراق قد قام بعض الأوربيين برحلات في البحار اكتشفوا عالماً جديداً وطرقاً كانت مجهولة تؤدي إلى الهند. وقد كان لهذه الاكتشافات مؤثرات على تجارة العراق . إذ كان يعد هذا القطر حلقة وصل بين بلاد الهند وأوربه كما بينا ذلك في المحاضرتين السابقتين .

ففي سنة ١٤٩٢ اكتشف كريستوف كولومبوس أميركة وفي سنة ١٤٩٨ اكتشف فاسكودي غاما طريق راس الرجاء الصالح المؤدية إلى الهند ورست سفينته في مرفأً قاليقوت وكان مرشده في سفره أحمد بن ماجد العربي النجدي . وفي سنة ١٥٢١ اكتشف ماجلان قناة في أقصى أميركة الجنوبية افضت به إلى المحيط الهادي (الأوقيانوس الباسيفيكي) ثم بلغ الهند آمناً سالماً .

خسرت تجارة العراق وبلاد العرب في القرن السادس عشر

جالية من البنادقة الذين نزلوها قبل وصوله اليها بضع سنوات .
وقال ان سكان المدينة يعيشون بالتجارة وحرف اليد فانهم ينسجون
اقمشة نفيسة ثمينة من حرير وقصب . وموقع المدينة حسن فتأتيها
البضاعات من الهند وبنغداد وكرم سيراى البلاد الحارة ومن غير
امكنة وهذا مايجذب التجار اللاتين اليها وخصوصا من الجنوبيين
لابتباع البضاعات والقيام بغير اعمال وقد زار هذا السائح كاشان
التي كانت شهيرة آتخذ بمخملها وحريرها . وبعد ان طاف بلاد ايران
حل في مرفأ هرمز في خليج فارس فقال عنه : يأتي تجار الهند
الى هناك بسفهم مشحونه ابارير وحجارة كريمة وآلى واقمشة
حرير وقصب ، واسنان فيلة وغيرها من البضاعات فيبيعونها
الى تجار هرمز .

ورأينا ان نختم هذا الفصل بقول احد الكتبة الاوربيين عن
الشرق في هذه الحقبة قال : قدا اكتشفت آسية حقا في القرن الثالث
عشر بوساطة المرسلين والتجار الايطاليين الذين نزلوا ضيوفا عند
قآنية المغول . فكانت قد بقيت تلك البلاد كأنها في ظل الاساطير
منذ فتوحات اسكندر المقدوني حتى ظهرت في هذا الزمان لاول

بذلك فنقم منه الشب وكان الامير قزان بن ارغون اشد هم امتعاضا
من هذا الامر فمنع التعامل بالورق في خراسان .

ولم يكن تيمور اقل ودأة على تجارة العراق من هولاء كوفاه
فتح بغداد لأول مرة في سنة ٧٩٥ هجرية ورجع اليها سنة ٨٠٣
(١٤٠٠ م) وبعد حصار دام اربعين يوما اجتاحتها وجعل عاليها
سافلها وافقر اهلها واقفر منازلها وقتل من البغاددة خلقا كثيرا
وخرّب مرافق ثروتها وعطل وسائل تجارتها .

مهما ذاق هذه البلاد من كؤوس المرارة في عهد هولاء كوفاء
وتيمور واضطرب جبل الامن فيها نرى السياح الاوربيين والتجار
يرتادونها من حين الى آخر . وقد كان في الموصل ثم في بغداد سنة
١٢٩٠ مسيحية من الرهبان الدومنيكيين ريكولدودي موتي كروس
وهو يروي في رحلته انه رأى في اسواق بغداد غنائم غنمها البدو من
عسقلان حينما سقطت حكومة الافرنج هناك .

وهذا ماركابولو التاجر البندقى الذى زار بلاد فارس (ايران)
سنة ١٢٧١ م وربما هبط بغداد على رأى بعض العلماء يذكر شيئا
كثيرا عن تجارة فارس والعراق . فقد لاقى في تبريز اوبالقرب منها

ومواردهم .. الخ

فاجابه سلطان مصر على تلك الرسالة بكتاب نقل منه ما له
مسيس بالعبارة المذكورة قال : واما تحريمه على العساكر
والقراغولات والشحاني بالاطراف التعرض الى احد بالاذى واصفاء
موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى فمن حين بلغنا
تقدمه بذلك تقدمنا مثله ايضا الى سائر النواب بالرحبة والبيرة
وحلب وعين تاب وتقدمنا الى مقدمى العساكر باطراف تلك الممالك
بمثل ذلك .. الخ

وفي اواخر القرن الثالث عشر واولئ القرن الرابع عشر
ارسلت الوفود من ملوك المغول الى ملوك اوربة فقابلهم هؤلاء
بارسال وفود منهم ولقد كانت غاية هذه البعثات سياسية اولاً ثم
افضت الى نتائج تجارية اقتصادية اذ كان الوفود ينقلون من تحف
الاقطار الاوربية والشرقية ما ولد رغبة فى نفوس الناس فى الحصول
على امثالها من النفائس .

ويروى عن الملك كيخاتو انه اصدر الاوراق المالية او نقود
الورق (البنك نوت) واضطر الاهالى الى التعامل بها واضر التجارة

هذا كان شأن تجارة العراق في عهد هولاء كولا . لا بل قبيل عهده
في ايام المستعصم فقد جاء في كتاب الفخرى انه لم يجر في ايام المستعصم
شيء يؤثر سوى نهب الكرخ وبئس الأثر ذلك .

ان المغول قد اشتبهروا في الخراب والدمار في التاريخ وعند الامم
الا انهم قبل ان يظهر هولاء كولا عقدوا عهداً سياسياً مع التجار
البنادقة الذين كانوا قد اسسوا بيوتاً تجارية في القرم لجر مغامر روسية
الجنوبية التجارية . وفي سنة ١٢٢٣ حملوا حملة شعواء على احد
البيوت التجارية الجنوبية في القرم الذي كان يزاحم مصالح البنادقة
الاقتصادية هناك .

وعلى كل حال فقد كان هولاء كولا ضربة مؤلمة على تجارة
العراق وربما منع التجار من نقل بضائعهم من هذه البلاد الى
سورية . ولما جلس السلطان احمد على كرسى المملكة سنة ٦٨١ هجرية
(١٢٨٢ م) ارسل الرسل الى سلطان مصر وكتب اليه رسالة
مسيهة ومما جاء فيها العبارة الآتية : واطلقنا سبيل التجار والمتردين
الى البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على احسن قواعدهم وحرمننا
على العساكر والشجاني في الاطراف التعرض لهم في مصادرهم

القماش الرقيق الذي يسميه اليوم الاوربيون Mousseline
ربما عرف عند العرب بالشاش الموصلى او الشف.

وقد اشتهر الموصليون بتجاراتهم فى القرون الوسطى عند الصليبيين
وجاء ذكرهم فى كتاب الف ليلة وليلة . هذا ما اردت ان اورده
من هذه الالفاظ على سبيل المثال ليس الا .

تجارة العراق فى عهد المغول والتتر

فى سنة ٦٥٦ هجرية (١٢٥٨ م) انقض على العراق طاغية من
اكبر الطغاة واجتاح المدن وعاث فيها شرا وفسادا وفتح بغداد
عاصمة العباسيين ونكل بالخليفة المستعصم بالله . وقتله شرقة لة
وأعمل بالعراقيين السيف والنار فقتل من سكان بغداد ما ينفو على
مليون نسمة واتلف خضراءهم وغضراءهم فجرى من القتل الذريع
والنهب العظيم والتمثيل البليغ ما يعظم سماعه جملة فما الظن بتفاصيله .
وهل من حاجة الى ان اقول لكم ان ذلك الخرب كان هولا كولا
المغولى وكيف تكون التجارة ومرافق الارزاق فى بلاد يحصد
منجل الموت الارواح . وتسلب الايادى الاثيمة الام وال وتهب
البضاعات ؟ اليس ذلك من دواعى انحلال التجارة لا بل موتها .

القهوة اصلها من جزيرة العرب من اليمن وفي اللغة الفرنسية

. Cafe

السنا في (الاسبانية) Sena وفي (الفرنسية) Sene

ومنه السنا الملكي المنسوب الى مكة والمعروف في بغداد .

Sensal مشتقة من سمسار .

التعريف هو في الفرنسية والاسبانية والانكليزية. Tarif

Baldaquin البغدادي قماش يعمل في بغداد وكن اسم

بغداد عند الاوربيين في القرون الوسطى Baldac ومنه اشتق

اسم القماش و Cheque مشتق من الصك و Sucre من سكر

ومن العتابي جاء في الاسبانية Tabi وفي الفرنسية Tabis وهو

قماش من حرير. قال ابن حوقل والعتابي والوشى وسائر الثياب الابريهم

(وكانت من اقمشة بغداد) .

في الفرنسية Mousselin cu Mousseline والاسبانية

والايطالية باختلاف في صورة الكتابة هي من موصل نسبة الى مدينة

الموصل وكانت هذه المدينة شهيرة في القرون الوسطى بمعامل نسج اقمشة

الحرير المقصب وقد سماه ماركو بولو Mosulin « موصلى » اما

توابل جزائر الهند وآلئ البحرين وحرير الصين وخزفها وغيرها.
ومن صناعات سورية ومعمولات صور كالسكر المصني واوانى
الزجاج . فتأتى سفن البنادق والجنويين والمرسيلين فى كل سنة
وترسو فى فرض سورية وبعد ان تنزل رجال الحرب واسرهم
ومؤنهم يتباع البضاعات والامتعة والمؤن العراقية والدمشقية
وترجع بها الى بلاد الغرب حيث كانت لها سوق رائجة .

طائفة من الالفاظ التجارية العربية

فى اللغات الاوربية

ان دخول العرب بلاد الافرنجة واحتلالهم الاندلس والحروب
الصليبية والعلائق التجارية بين القارتين الاسوية والاوربية افضت
الى دخول الفاظ عربية كثيرة فى اللغات الاوربية ، وليس قصدنا
ان نأتى على ذكرها كلها فذلك مما لا يمكن منه فى هذه المحاضرة
بل ان جل قصدنا ان نورد طائفة من الالفاظ التجارية فقط .

يقول الاس بايون للعمرة وهو لباس الرأس Coiffe

والايطاليون Cufia والفرنسيون Ceiffure وهذا

الحرف مشتق من الكوفية العراقية .

صلاح الدين الايوبي وارجعهم على اعدائهم خاهرين ولا اطليل
الكلام عن تلك الحملات فذلك ليس من بحثي في شيء بل انما تطرقت
اليها لما لها من الملائق بتجارة الشرق عموما وتجارة العراق
خصوصا.

ان الصليبيين الذين هبطوا الشرق وراوا زهو اقوامه ، وترف
عيشهم ، وبهاء حضارتهم ، وابهة حفلاتهم ، وزخرف البستهم
المزركشة ، ولذة مآكلهم المعالجة بالتوابل والابارير اقتنوا بعيش
العرب ومالوا الى طبيعته التي لم يتعودوها في قصورهم حيث كان
يسود الهدوء والسكينة والجمود . وكان لاحتمالك الصليبيين بالعرب
نتائج خطيرة في حياة العرب الاجتماعية والتجارية . فاقتبس
الاوربيون من العرب مناحي حياتهم واساليب لباسهم وانواع
مآكلهم . وتعودوا مدة اقامتهم في سورية زرع بعض النباتات
الشرقية كالقطن وقصب السكر . وكان الايطاليون وسكان مرسيلية
قد استأثروا في اواخر القرن الثاني عشر بتجارة الشرق مع اوربه
فكانت قوافل بغداد ودمشق حاضرتي التجارة الشرقية في القرون
الوسطى تأتي بانواع البضاعات والامتنعة الى مرافئ سورية وبينها

في العراق وسورية ومصر، لما كان العرب يمصرون المدن ويستخرجون كتب الحكمة والعلوم من اليونانية والسريانية الى العربية، لما كان اجدادنا يبذلون جهودهم في سبيل التجارة والارتزاق كانت اوربة في القرون الوسطى متسكعة في غياهب الجهل غارقة في سبات الخمول والجمود. مفكرة بالمناقشات النظرية والجدل الديني. راسفة في سلاسل الحكم الاقطاعي. واذ كان الغرب على هذه الحال جاء صوت بطرس السامح يدعو القوم الى النزال في ميدان الوعي مع الشرق. فلاقت دعوته آذاناً صاغية وقلوبا واعية لانه ضرب على وتر الدين ووتر الدين حساس عند الشعوب التي تخط بينه وبين السياسة. وهذا كان شأن اوربة لما كانت متقهقرة قدسحت عن سنن الرقي. وهذا دأب كل الامم المتأخرة في مضمار المدنية في كل عصر ومصر.

تحشدت الجنود الاوربية ونفروا خفافاً وثقالاً الى الشرق وكان من امرهم انهم استولوا على فلسطين وسورية وديار مصر وبين النهرين ما خلا الموصل وجاؤوا باساطيلهم الى البحر الاحمر وارسلوا في عدن واجتاحوا سواحل الحجاز واليمن فانقضت عليهم اساطيل

المحاضرة الثالثة

—○()○—

(تجارة الشرق في القرون الوسطى - الصليبيون وتجارة الشرق -)

(الالفاظ التجارية العربية في اللغات الاوربية - تجارة العراق)

(في عهد المغول او التتر - تجارة العراق في عهد الاتراك)

(حتى سنة ١٨٣١ - الاكتشافات الجغرافية في القرنين)

(الخامس عشر والسادس عشر - الشركة)

(الهندية الشرقية في العراق -)

(الشعوب الاوربية التجارية)

(في العراق - اقوال)

(السياح الاوربيين)

(في تجارة)

(العراق)

—○()○—

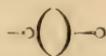
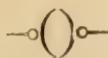
تجارة الشرق والأوربيون

لما كانت انوار الحضارة وال عمران شارقة على بلاد الشرق

الف دينار فقال ابو العباس لا يوجد يا اخي هذا المقدار في بيت مال المسلمين واما ان انتظرنى ريثما اتي اذكاره لك. ثم ارسل السفاح من فوره الى رجل تاجر يهودى فاقترض منه هذا المال الجسيم .

وليس هذا المثل الوحيد في غناء تجار العراق بل كثير مما كان يقترض منهم الامراء واولاد الخلفاء والوزراء والمتوظفون في الدواوين وبالغ جسامة وقد صادر المقدر بالله آل الجصاص باءة الجواهر الف دينار .

وعندما كانت تقع الفتن في العراق كان التجار يتقلون بضاعتهم من الدكاكين الى بيوتهم خشية نهبها وكذلك فعل اهل باب المحول ونهر طابق والقلائين وغيرهم في سنة ٣١٥ هجرية (٩٢٥ م) لما قصد القرمطى زبارا (١) مع كثرة العيارين والمتشبهة بالجند يتشوفون الى النهب . فما اشبه هذا الامر بما يفعله البغادة في زماننا ان شعروا بحدوث فتنة او باضطراب حبل الامن .



(١) زبارا : موضع يظنه صاحب معجم البلدان من نواحي الكوفة.

والسكاكين والنشاب والطريح الفائق والسلاسل .

وقد اشتهرت البصرة بجزها وبزها وطرائفها وبارزها وهي معدن اللآلئ والجواهر وبها يصنع الراسخت والزنجفر والزنجار والمرداسنج ومنها تحمل التمور الى الاطراف والحناء ولهم خز وبنفسج وماء ورد وبالابلة تعمل ثياب الكتان الرفيعة على عمل القصب وبالكوفة عمام الخز والبنفسج في غاية الجودة . وبمدينة السلام الطرائف والوان ثياب القز وغير ذلك وبها عباداني حسن وسامان رفيع وفي بغداد ايضا ازر وعمائم يكانكي رفيعة ومناديل القصرية والبويبية ومحكم وطرائف وبالنعمانية يصنع اكسية وثياب صوف عسليّة حسنة وفي واسط السطور . وفي باقدارى من قرى بغداد تعمل ثياب من القطن غلاظ يضرب بها المثل .

وكان للتجار في العراق ثروة طائلة تدل على اتساع التجارة . فقد جاء عن ابي العباس السفاح انه نزل عليه في الكوفة عبدالله ابن الحسن بن علي مناظره في الخلافة من آل البيت فسأله السفاح وكان به حفيها هل في نفسه شيء يشبهه فيبلغه اياه . فقال له قد بلغت في اكرامى واجملت في صلتى واكنى ما زلت اشتهى ان يجتمع لي مرة

وكانت الحكومة تأخذ ضرائب على التجارات والامتعة على اصول التعرفة الثابتة وكانت هذه التعرفة تتغير من حين الى آخر فقد قرر عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢ هجرية على اسواق الدواب والحمير والجمال عما يباع فيها من جميع ذلك وفعل فى ضرائب الامتعة الصادرة والواردة مازاد فيه على الرسوم القديمة وحظر عمل الثلج والقز وجعلهما متجرأ للخاصة وكان من قبل مطلقين لمن يريد عملهما والمتجر فيهما . وقد قال شاعر فى مكوس العراق هذا البيت :

افى كل اسواق العراق اتاوة وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم
 وكان نصارى العراق ويهودها يتعاطون التجارة ايضا وقد اشهر
 فى نقل البضاعات فى البر طائفة من التجار اليهود الرهدانية كانوا
 يتقنون اللغات الرائجة فى ذلك العصر وهى العربية والفارسية
 والرومية والافرنجية والانداسية والصفيلية يسافرون بين الاقاليم
 العاصرة .

واشتهرت بعض مدن العراق باصناف المتاع وانواع البضاعة .
 ترتفع من الموصل الجوب والعسل والنمك سود والفحوم والشحوم
 والجبن والمن والسماق وحب الرمان والقيرو الحديد والاسطال

والديباج الرومي والتستري والفرش الادمى والحزمبسوط والقصب
والبهار والقرنفل والدارصيني والمصطكى وجلود السمور والفنك
والفاقم والدلق والسنجاب والشعب . واوانى الحزف الصينى .
وصياغات الفضة وحلى الذهب والحجارة الكريمة والجزع واليشب
والزمرد والياقوت واللؤلؤ . والمعادن المعروفة يومئذ فى الشرق .
والعاج وغيرها .

ومن التجارات الرائجة جياذ الخيل وكرام المهارى . والنخاسة ويبيع
الرقيق الابيض وكانت تقام فى بغداد اسواق خطيرة لهذه التجارة
واثرى اناس كثيرون منها وبلغوا من الثروة حداً قصياً . فكان اصحاب
القوافل يأتون بالنساء والبنات والجوارى الحسان من اطراف العالم
ويعرضونهن فى الاسواق . وقد كان فى بغداد محلة شارع دار الرقيق
وهى ناحية على دجلة كان يباع الرقيق فيها قديماً وهى بالجانب
الغربى . وكانت آثارها باقية حتى القرن الثالث عشر للميلاد وفيها
يقول احد الشعراء :

شارع دار الرقيق ارقنى	فليت دار الرقيق لم تكن
به فتاة للقلب فأنة	انا فداء لوجهها الحسن

ايضا الى بغداد في الفرات من ارمينية واذريجان فما بعده ومن الروم
وتدخل المراكب التي ترد من الهند في دجلة من بحر فارس
الى المدائن .

وكانت بغداد قطب طرق القوافل . . فكانت قافلة تسير من
بغداد الى واسط ومن واسط الى البصرة اوراسالى الاهواز حاضرة
خوزستان . وكانت قوافل الحج تسير الى الكوفة فالقادسية وتبلغ
بلاد العرب . وقافلة اخرى تسير بالحجاج من البصرة ويسافر
التجار الى سورية على طريق الفرات فيمرون بالانبار وحديثة
وعانة او كانوا يسافرون عن طريق تكريت والموصل وبلاد الجزيرة
ومن طرق بغداد العظمى طريق خراسان كان يسير فيها من يقصد
بلاد فارس فتفضى هذه الطريق الى بلاد ماوراء النهر حتى
حدود الصين . هذه خمسة طرق اصلية كانت تنتهي بها القوافل
والتجارات الى بغداد وهذه الطرق داخلية لم تتعرض لذكرها .

كانت اسواق بغداد مزدانة بأنواع الامتعة واجناس السلع
تقاطر اليها من كل قطر ومصر . هناك العود الهندي والعود
والمسك والكافور والبطر والصندل والزعفران والشعر

وزان وكاتلان وغيرها ينقلونها الى بلادهم .

وعندنا رحلتان شهيرتان ترتقيان الى القرن التاسع للميلاد وهما رحلة التاجر سليمان ورحلة ابن وهب البصرى وبموجب رواية كتاب سلسلة التواريخ ان الرحلتين المذكورتين ابتدأتا من مدينة سيراف فى خليج فارس وكان يسميها التجار شيلاو .

وقد روى المسعودى ان رجلا من التجار من اهل سمرقند خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى اتى العراق فحمل من جهازها وانحدر الى البصرة وركب البحر حتى اتى بلاد عمان وركب الى بلاد كله وهى النصف من طريق الصين او نحو ذلك واليها تنتهى مراكب اهل الاسلام من السيرافيين والعمانيين فى هذا الوقت فيجته ون مع من ورد من ارض الصين فى مراكبهم وقد كان فى بدء الزمان بخلاف ذلك . وذلك ان مراكب الصين كانت تأتى بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع المذكورة الى هناك .

وكانت المراكب تأتى الى بغداد فى دجلة من الصين فما بعده ومن اليمامة فما بعدها ومن الهند والزنج فما بعدها وتأتى الاكلاك

سفنهم تطلع من مرافئ اليمن .

الا ان انتشار الاسلام في العالم اضحى خيرا وسيلة لتوسيع نطاق
الاشغال عند العرب اذن القوم كانوا يجدون في البلاد التي ينزلونها
من ابناء دينهم فيعضدونهم في مصالحهم وترويج بضاعتهم .
فسافروا الى ملبار وصومطر ، وجزائر الارخبيل العظمى . وعبروا من
هناك خليج سيام وارست سفنهم في جنوبي الصين .

وكان للعرب في الاسلام ثلاث طرق الى الهند الطريق الاولى
برا على بلاد الفرس وكانت تجمع البلاد الاسلامية الكبرى
سمرقند ودمشق وبنغداد .

والطريق الثانية كانت تأتي السفن فيها من الهند الى مرافئ خليج
فارس كسيراف وغيرها والطريق الثالثة كانت السفن تطوف حول
جزيرة العرب وترسى في مرافئ بحر القلزم (البحر الاحمر)
كعدن وغيرها فالبضاعات التي كانت تصل الى خليج فارس تنقل
الى بنغداد نهرا او براً ومن هناك بالقوافل الى داخل البلاد . وتنقل الامتعة
لتي تهبط مرافئ البحر الاحمر مثل عدن الى السويس فاس كندرية
والمدن الاخرى البحرية في سورية وكان تجار جنوة وفلورنسة

السعر زاد في تلك السنة وضج العامة ببغداد ونهبوا دكاكين الجماعة من الدقاكين وتألّبوا الى باب السلطان . فتقدم المقتدر الى ابن الحواري بان يكتب الى حامد بالاهواز بان يبادر الى الحضور وينظر في امر الاسعار فيزيل التربص بيده الملات لتنحط الاسعار . ثم اتسمم الحرق على الراقع وبلغ الشنب معظمه فاضطر المقتدر الى فتح الدكاكين والبيوت التي لحامد الضامن والامراء والوجوه وان يبيع الخنطة والشعير بنقصان خمسة دنانير الكر .

ان العرب قطعوا الفيافي والقفار بمراكب البراي الابل ونشروا اشرة سفهم وركبوا متون الانهار وامتطوا امواج البحار في سبيل التجارة والبيع والشراء . اجل ان العرب قد تاجروا مع الهند والصين واواسط افريقية وبعض امصار اوزبه كروسية والبلاد المنخفضة في عهد لم تعرف اوزبه وشعوبها الشرق الاقصى الا معرفة ضئيلة بالسمع وكانت تجهل قارة افريقية ما خلا بعض سواحلها .

ان علاقة العرب التجارية بالهند قديمة العهد ترتقى الى زمن الجاهلية ولكننا نظن ان الهنود كانوا يأتون ببضاعتهم الى مصافي بلاد العرب ولم ينافروا العرب الى الهند الا قبيل الهجرة وكانت

عهد طويل على بنائها حتى اصبحت رومية الشرق او آئينة العراق
وازدهرت فيها التجارة كل الازدهار وقال فيها الشاعر .

ابغداد يادار الملوك ومجتنى صنوف المنى يامسه تقر المنابر

وياجنة الدنيا ويامجتنى الغنى ومنبسط الآمال عند المتاجر

وقد اهتم المنصور بالتجارة وبنى الاسواق قريبة من قصره

الملكي الا انه امر بعد ذلك بنقل التجار الى باب الكرخ وباب

الشعير وباب المحول وجعلهم صفوفاً وكان يتقاضى العلة من الاسواق

على قدر الذرع .

وكان ولاية البريد في الآفاق كلها يكتبون الى المنصور ايام

خلافته في كل يوم بسعر القمح والحبوب والادم وبسعر كل ما كول

فاذا وردت كتبهم نظر فيها فاذا رأى الاسعار على حالها امسك

وان تغير شئ منها عن حاله كتب الى الوالى والعامل هناك وسأله

عن العلة التى نقلت ذلك عن سعره .

وبقى الخلفاء العباسيون بعد ذلك الزمان ينظرون فى الاسعار

وأمان المؤن وينصفون الامة فيها من استبداد التجار . ولنا شاهد على

ذلك ما وقع سنة ٣٠٧ هجرية (٩١٩ م) فى عهد المقتدر بالله فان

ونصف قرن فافتها بغداد خطورة. وكانت بغداد قبل ان مصرها المنصور قرية تقوم فيها سوق عظيمة في كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والاهواز وسائر البلاد . كما ان سوق الثناء كانت سوقا لاهل كلواذي يقيمونها في اول ثلاثاء من كل شهر قبل ان يعمر المنصور بغداد . (وفي عهد مجد بغداد اصبحت سوق بزها الاعظم وموقعها اليوم الكمرل والمصبغة وسوق البرازين وسوق الجوخجية وسوق الصفاير وغيرها) فنستنتج من هاتين الروايتين ان بغداد كانت حلبة التجار قبل ان يمصرها المنصور . وقد عرف العرب اهمية موقعها نظراً الى التجارة والسياسة فاشاروا على المنصور ان يتخذ هذه البقعة حاضرة المملكة وقالوا له تبيئك الميرة في الس فن من الشام والرققة ومصر والمغرب الى الفرات ومن الصين والهند والبصرة وواسط ودياربكر والروم والموصل في دجلة ومن ارمينية وما اتصل بها في سامراء حتى يتصل بالزاب . وانت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل قريب من البر والبحر والجل . فبنى جعفر المنصور بغداد سنة ١٤٦ هجرية (٧٦٣ م) فتقاطرت اليها الناس من كل ملة ونحلة للعلم والارتزاق والتجارة ولم يمض

والمضطرب بماله والمرتق ببدنه فأنهم مواد المنافع واسباب المرافق
وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث
لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها ... الى ان قال فامنع من
الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع
بيعا سمحا بموازين عدل . «

وقصارى القول ان العرب تجار . وان اهل مكة في الجاهلية
والاسلام ارتزقوا من هذه المهنة الشريفة وتفاخروا بها . فلنأت الان
على تجارة العراق في عهد العباسيين .

٢ : تجارة العراق في عهد العباسيين

رأينا في محاضرتنا السابقة خطورة تجارة العراق نظراً الى موقع
العراق الجغرافي البديع ولم يجهل العرب الفاتحون هذه الحقيقة
في صدر الاسلام . فبعد ان فتح العراق سهـد بن ابى وقاص خطط
عمر بن الخطاب البصرة بين سنة ١٤ وسنة ١٥ هجرية (٦٣٩ م)
عند ملتقى دجلة والفرات . فاصبحت فرضة العراق ومرسى السفن
التي تأتي من خليج فارس وبحر الهند ومن سائر مدن العراق مثل
الانبار والحيرة والكوفة وواسط على الفرات والمدائن وبعدقرن

مغض العين لاهتدى فقال صفوان من هو قال فرات بن حيان العجلي فاستأجراه فخرج بهم في الشتاء فسلك بهم على ذات عرق ثم سلك بهم على غمرة فانتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم خبر العير فخرج وفيها مال كثير وآنية من فضة حملها صفوان بن امية فخرج زيد بن حارثة فاعترضها فظفر بالعير وافلت اعيان القوم وكان الخمس عشرين الفا واخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم الاربعة الاخماس على السرية . وحدث محمد بن جرير الطبري في خبر هذه السرية بمثل رواية الواقدي وزاد فيها في مارواه ان قريشا لما خافت طريقها الى الشام اخذت على طريق العراق .

وكان نفر من اهالي مكة قد بلغوا من الأثراء حدا قصيا نسبة الى ثروة ذلك العهد ومنهم عبدالله بن ابي ربيعة وعبدالله بن جدعان وصفوان وامية وغيرهم .

وقد اهتم الخلفاء الراشدون بالتجارة والتجار اهتماما عظيما فاوصى على بن ابي طالب الاشتر النخعي بالتجار والتجارة وصية يظنها القارىء من قلم احد اعظم الاقتصاديين في القرن العشرين قال استوص بالتجار وذوى الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم

الكسب والاتفاق بها . والامر بالنزاهة والاستقامة والعدل
في المعاملات وايفاء الاوزان والمكاييل حقها والتحذير من الغش
في المبيعات والسامعون ادرى منى بتلك الكنوز الاقتصادية لانهم
يرددون آيات الكتاب صباح مساء وفي كتب السير من نفائس
الاخبار عن الاتجار ماينبئ عن التبسط فيها . وكذا قل في كتب
التفسير .

وهنا يريد ان الفت انظاركم الى امر ذى شأن في سير السياسة
والاقتصاد . فاذا وجدت سلامة البلاد في خطر اوقام في سبيل دعوة
من الدعوات عوائق تضحى آتئذ المصالح الاقتصادية فوق مذبح
البلاد والدعوة التي يراد بثها . واعظم درس تعلمه في هذا الباب
من رسول العرب فانه اقام نطاق الحجر على تجارة القرشيين قبل
غزوة بدر وقد جاءت روايه عن الواقدي في الاغانى تؤيد هذا
الرأى نقلها بحرفها الواحد لما فيها من الفوائد والعبر : ان قريشا
قالت قد دعور علينا محمد متجرنا وهو على طريقنا وقال ابو سفيان
وصفوان بن امية ان اقمنا بمكة الكذارة رؤوس اموالنا فقال ربيعة بن
الاسود وانا ادلكم على رجل يملك لكم النجدة ولو سلكها

والفارسية والحبشية تتنازع النفوذ الاقتصادي وتتوسل بالوسائل لتوسع نطاق تجارتها في الجزيرة العربية وتشاركها في تجارة الهند كما ان الدولتين الرومية والفارسية منها كانتا تتنازعان سيادة العالم . وكل منهما تروم الاستيلاء على المجتمع . فكانت دولة الرومان ربة الحل والعقد في الغرب وسورية ودولة الفرس ام الامر والنهي في الشرق واله راق . ولم يدر في خلد احد ان كل من تينك الدولتين كانت تحمل جرائم الاضمحلال والوهن في قلبها لما استولى عليها من البذخ والترف والتراخي . ولم يفكر احد في ان قوة تصدر من الحجاز يخضع لها القياصرة وان جيشاً ينبعث من ام القرى يعنوله الاكاسرة وكان العامل الاكبر لابل الوحيد في هذا الانقلاب تاجر من قریش كان في اول امره يضارب باموال خديجة ويتاجر بها بين مكة والشام وهو النبي الخفيف (محمد بن عبد الله بن عبد المطاب) وقد قال عن حضرة الرسول الاستاذ شكري الالوسي في كتابه بلوغ الارب « كان النبي صلى الله عليه وسلم » محظوظا في التجارة » .

وفي الفرقان آيات بينات في تحليل التجارة ومدحها والحث على

فانهم كانوا اصحاب قوافل ينقلون بضاعات القرشيين والثقفين في بلاد الجزيرة . وقد قال استرابوان « ان كل العرب تجار . » ويصدق قوله هذا على اهل مكة المكرمة خصوصا « ومن لم يكن تاجراً فليس عندهم بشيء » .

وقد كانت الجهاذة والصارفة يقرضون في الجاهلية اموالهم برباء فاحش اى مائة بالمائة او دينار بدينار . او بكل دينار ديناران ولهذا ترى الآيات في الفرقان كثيرة في تحريم الربا . لما كان قد فشى في تلك البلاد من الغلوفيه ويسند الاقتصاديون هذا الغلو في الرباء الى ما كان ينتاب القوافل من السلب والنهب من قبائل البدو في ذهابها وايابها والى كثرة الارباح التى كان يرجيها المضارب والمتاجر ان وصلت القوافل سالمة الى محل البيع .

وقد كانت التجارة في الجزيرة في اول امرها مقايضة ثم فضة وذهباً ووزناً ثم مسكوكات رومية ومنها الدينار والدرهم .

وكانت اسواق مكة والمدينة وتجارات الحجاز واليمن ونجد قد بلغت مبلغاً عظيماً من الاتساع قبيل الهجرة . فكانت القوافل تقصد الشام والعراق والحيشة . وكانت الدول الثلاث الرومية

ويظهر ان العرب لم يتوغلوا في العراق بمتاجرهم قبل القرن السابع
للمسيح بل كانوا يقنعون بحط رحالهم في الحيرة وتأيداً لهذا
الرأى نروى ما يأتى : خرج ابو سفيان بن حرب في جماعة من
قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة فلما ساروا ثلاثاً جمعهم ابو
سفيان فقال لهم انا من سيرنا هذا لعل خطر ما قدمنا على ملك
جبار لم يأذن لنا في القدوم عليه وليست بلاده لنا بمتجر ولكن ايكم
يذهب بالغير فان اصاب فحن براء من دمه وان غم فله نصف الربح
فقال غيلان بن سلمه دعوني اذن فانا لها . فتوجه الى المدائن وجرى
له حديث طويل مع كسرى ابرويز فاطهر من الذكاء وقوة المعارضة
مادهش كسرى واشترى منه التجارة باضعاف ثمنها وكساه وبعث
معه من الفرس من بنى له اطما بالطائف .

وقد كانت قريش من اكثر القبائل معاطاة التجارة . وقد ذهب
بعض اللغويين ان اسم قريش مشتق من القرش والقرش في اللغة
العربية الكسب والرزق ومنها الاقتراض اى الاكتساب او الارتزاق
وقد كان القرشيون سكان مكة والثقيفون سكان الطائف اصحاب
رؤوس اموال يضاربون باموالهم اما قبائل البدو الذين كانوا جوارهم

وكان في الطائف في عهد الجاهلية طارئة من اليهود ويظن اهل
البحر ان منزلة هذه البلدة التجارية رغبت القوم في الظن اليها
اذ وجدوا فيها مسرعا واسعا للارتزاق .

وكان اليهود والنصارى مبشرين قبل الاسلام في جزيرة العرب
وكانوا يتاجرون في البلاد على طولها وعرضها . ينقلون منها
التجارات ويأتون اليها بغيرها من الامصار الاخرى . وقد جاء
في كتاب صفة العرب للهمداني : ان فرسان قبيلة من تغلب كانوا
قيما نصارى يحملون التجارة الى بلاد الحبش واهم في السنة سفرة .
وقد كان تجار سورية يبيعون القمح والزيت وغيرهما الى القرشيين
الذين كانوا نازلين في واد لا زرع فيه ، وكان يهود يثرب قد احتكروا
بيع السلع في البلدة لان رؤوس اموالهم كانت تساعدهم على
الاحتكار . وكان الانباط النصارى قد استأثروا ببيع القمح في سوق
مكة المكرمة وكان لهم مخازن ومستودعات هناك .

وكان لقريش اربعة اسفار في السنة وكان احد اصحاب الايلاف
الاربعة يذهب بتجارته الى الشام والآخر الى الحبشة والثالث الى
اليمن والرابع يرحل الى فارس .

في كل سوق على اسلوب غير الذي يجرى في غيره .

وكان العراق يشترك في هذه الاسواق اوبعضها ومما يروى
انتاريخان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ارسل جمالا محملة بزأوطيوباً
لتباع في سوق عكاظ ويشترى له بثمنها من ادم الطائف ما يحتاج اليه .
وعلى ذكر الطائف نقول كلمة عن منزلها الاقتصادية . فوقمها
الجغرافي خطير في التجارة فهي في وسط الحجاز قريبة من سوق عكاظ
تقطعها الطريق التجارية العظمى الممتدة من جنوبي الجزيرة في جهة
مكة وبلاد سورية ويفضى طريقها من الوجهة الشرقية الى
نجد والعراق .

وكان فيها مدايع يدبغ فيها الاديم وتجري مياهها في الوادي الذي
يشق جانبيها . وهي ذات مزارع ونخل واعناب وموز
وسائر الفواكه .

وكان فيها معبد يزار في الجاهلية وكانت المعابد في الايام الحالية
مجتمع التجار على ما للمعنا اليه في المحاضرة الاولى . وكان اغلب اهلها
من الثقفين الذين كانوا يسابلون في بضاعتهم في طرق الجزيرة
ويضاربون باموالهم .

والقرفة والمر واللاذن وخيار الشنبر والابلوج والصوف الفاخر
وكان الفينيون يشترون منه كميات كثيرة . كما انهم كانوا يشترون
من العرب الحجارة الكريمة والذهب والعاج والابنوس والحديد
الحام . وكان الذهب من مناجم بلاد العرب او من بلاد الهند اما
العاج والابنوس فعلى الارجح كانا يأتياها من الهند او الحبشة ولم
يرو لنا التاريخ البضاعات التي كان الفينيون يحملونها من بلادهم
او من غير امصار الى بلاد العرب . ولكن الارجح انها كانت اقشة
قطن وكتان وغضاراً ومواعين وخرزاً للزينة وغيرها .

وكانت فرضهم على خليج فارس وبحر القزم من اكبر العوامل
الفعالة في احياء مرافق تجارتهم وتوسيع نطاقها اذ كانت تقصدها
سفن الشموب حاملة من نفائس الاشياء واجملها .

ومما يدل على اتساع تجارة العرب اسواقهم العامة التي كانوا
يقيمونها في مواسمهم لمبادلة الامتعة والفلات واللباس والمفاخرة وهي
تعد بالمشرات نكتفي بذكر عدد منها : سوق هجر وسوق عمان
وسوق المشقر وسوق صحراء والشحر وسوق حضرموت وسوق
جاشه ودومة الجندل وسوق عكاظ . وغيرها . وكان البيع يجري

فقد سبق ذكر هذا القوم وميله الى مثل هذه الاعمال وعلاقته التجارية بمصر في كتاب الخليفة في عرض كلامه عن يوسف بن يعقوب: واذا قافلة اسمعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا ذاهبين لينزلوا بها الى مصر.

ولقد كان في بلاد العرب طرق كثيرة لسير القوافل فيها، ورد ذكرها في الكتابة الاثرية المعينة في كتب اليونان والعرب وكلها تتخذ مركزها مكة المكرمة التي كانت منذ الايام القديمة متدى التجار ومن هناك تتفرع الى فروع عديدة . منها تذهب الى مدن في جزيرة العرب ومنها الى الشام ومصر والعراق . وسواحل بحر القلزم والمحيط الهندي .

ان الامم الشرقية القديمة كلها تعاطت التجارة مع العرب كما ان العرب في الجاهلية طافوا بلاد تلك العرب بتجاراتهم وابعوا واشتروا . وقد كانت الجزيرة حلقة الوصل بين الهند والفينيقيين . فكان يرتادها الفينيقيون ليشتروا بواسطتها اموال الهند وبضاعاتها النفيسة وامتعتها الفاخرة . وكانت كل امم العالم الشرقي من فينيقيين وغيرهم يعتبرون بلاد العرب موطن العطور فيتاعون منها اللبان

ضالتنا المنشودة . وعلى رأى العلماء الراجح انه قدفات مؤرخونا
ذكرها . كان مركز هذه المملكة فى القسم الجنوبى من جزيرة العرب
بين حضرموت واليمن وكانت عاصمتها معن ويرتقى تاريخ نشأتها
الى القرن الخامس عشر قبل المسيح على ما يظن .

وقد كانت الدولة المعينية دولة تجارية زراعية . وقد اهلها
موقعها الجغرافى للتسلط على القوافل وقد قال عنها العلامة ويبرهم
فى كتابه (العرب قبل الاسلام) انهم كانوا وسطاء الاتجار بين
الهند وبلاد العرب الجنوبية . ويرتقى تاريخ هذه التجارة الى
القرن الثالث عشر قبل المسيح .

وما قلناه عن الدولة المعينية ومنزلتها التجارية نطقه على الدولة
السبائية . فان هذه الدولة امتازت باعمالها الاقتصادية . وكان
السبائيون جيران المعينين وانتهى ملكهم سنة ١١٥ ق . م . وقد وصفهم
كتبة اليونان فى مؤلفاتهم واستفاضوا فى ذكرهم وذكر تجارتهم
وكانوا فى المصهور التى سبقت عهد المسيح خير واسطة لنقل الامتعة
ومبادلة السلع بين الامم الشرقية .

ولا غرابة فى امر هاتين الدولتين التجاريتين من بنى اسمعيل

منزلة الاقطار الخطيرة في تجارتها. وان رجعنا الى شرقى الجزيرة نرى خليج فارس وشاطئه الغربى يمتد من عمان فالبحرين حتى الاحساء وتقوم عليه الفرض التجارية ومصر فى ملاحى الهند والعراق . وتصل جزيرة العرب فى الشمال الشرقى برأب بادية العراق وبالخيرة وفيها كانت دولة المناذرة وفى الشمال بتدمر وسورية وفى الشمال الغربى بفلسطين . ويقسم العرب جزيرتهم الى خمسة اقسام . الحجاز وتهامة ونجد واليمن والعروض (اى اليمامة والبحرين وعمان) اما الافرنج فيقسمونها لثلاثة اقسام اسوة بظليموس الكلوذى وهى : البادية وهو القسم الشمالى من الجزيرة والصخرية اى شبه جزيرة سيناء والسعيدة وهى الحجاز ونجد واليمن وسواها .

فاذا غضينا النظر عن العرب العاربة او البائدة او العماقة الذين كانوا منتشرين فى سورية ومصر والعراق ومنهم حموربى الشهير على رأى بعض العلماء الذين يتاجرون فى تلك القرون البعيدة وانتقلنا حالا الى العرب المستعربة تحقق وجود دولتين عربيتين تجاريتين وهما الدولة الميمنية والدولة السبئية .

امعنا فى البحث عن الدولة الميمنية فى كتب العرب التاريخية فلم نجد

ونوافيح طيها ونرى قوافل ابها تطوى اليد طيا . حاملة تجارات
في داخل البلاد وخارجها . وتقطع سفنها اليم وتجول في البحر الاحمر
والمحيط الهندي وبحر الروم وغيرها . وبعد ان تطوف هذا الطواف
الفكري نرجع ونقول كنا في بلاد الذهب . زرنا جزيرة الاثراء ،
رجعنا من بلاد العطور وكنا نطن (وبعض الظن اثم) انها جزيرة
الرمال ، انها بادية عارية عن ماض اقتصادي عظيم ، انها ديار خالية
من مرافق الثروة وسبل الاتجار .

ان جزيرة العرب بعيدة الاطراف واسعة الاكناف تحيط بها
البحار الثلاثة فيغمرها من الجنوب المحيط الهندي وتقوم هناك بلاد
اليمين الخضراء الشهيرة بخصبها وهي جنة الجزيرة لما فيها من الاشجار
والمياه والجداول والعيون . وهي منبت البن (القهوة) وغيرها من النبات
والمعادن كالذهب والفضة والحديد والبلور والجزع والعقيق والشراب
والهيصمى وفي الغرب نرى بحر القلزم (اي البحر الاحمر) يغمر
سواحل الحجاز . والحجاز وان كان دون اليمن في الحصب الا ان منزلته
الدينية واجتماع قبائل العرب في الجاهلية وفي الاسلام حول الكعبة
والبيت الحرام . وقربه من بلاد الشام وسورية ومصر رفعت مقامه الى

المحاضرة الثانية

التجارة في عهد العرب

التجارة في جزيرة العرب في الجاهلية - اسواق العرب

ظهور النبي محمد والتجارة في الاسلام - التجارة

في عهد العباسيين - بغداد واسواقها

تجارة الرقيق - الضرائب

في عهد العباسيين

غنى تجار

العراق

§ § §

التجارة في جزيرة العرب

١ : في الجاهلية والاسلام

الى جزيرة العرب نوجه انظارنا وندرس تجارتها واحوالها

الاقتصادي منذ اعصرها التاريخية ونستشق اريج بحورها وعطورها

نبعاً فكانت تبذرق من المدائن حتى تدفع الى النعمان في الحيرة ويبذرقها النعمان بخفراء من بنى ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هودذة بن علي الحنفي فيبذرقها حتى يخرجها من ارض بنى حنيفة ثم تدفع الى سعد وتجعل لهم جمالة فتسير فيها فيدفعون الى عمال باذان باليمن .

ويظهر من دلائل التاريخ ان معظم التجارة كان بيد اليهم ود والنصارى في عهد الساسانيين ومما يؤيد هذا الظن ان اشرف الفرس كانوا يأتفون من نزول الاسواق والتعامل مع السوقة . وكان الفرس يشترطون على ملكهم ان لا يتاجر فيوجب غلاء الاسعار في البضائع .

وقد زاد التجارة نشاطا في العراق اليونان والروم وعلمو اهله اساليب الاشغال وادخلوا فيه روحا جديداً من الحضارة اليونانية والمدنية الرومية .

وسيكون موضوع محاضرتنا في الاسبوع القادم تاريخ التجارة في جزيرة العرب والعراق في عهد العباسيين وانه لموضوع يهم كل عربي بنوع عام وكل عراقي بنوع خاص .

والاسرب والقصدير . وبعد ان كان التجار يقضون وطرهم من البيع
والشراء تنشر السفن اشرعها وتوغل في البحر فمنها تقصد سواحل
افريقية ومنها الهند فيبيع التجار في تلك الاقطار سلمهم ويوسقون
سفنهم من عروض تلك الامصار مثل ثياب الحرير والاستبرق
والقرنفل والدارصيني والفلفل والزعفران والهال والصنع والميعة
والصندف والعاج والدر والمرجان والطر ودهن البان وغيرهامن
حاصلات ثغور البحار فتأتي السفن وتفرغ تلك السلم في العراق
فياخذ الاهلون حاجتهم منها ويبعث بالباقي الى دمشق والاسكندرية
وموانئ سورية ومصرفكان العراق حلقة وصل بين دول ذلك
العهد وبين الهند في عصر لم يعرف فيه طريق رأس الرجاء الصالح .
وقد كان للساسانيين علائق ببلاذ العرب وكان لهم هناك
عامل ومما جاء في التاريخ ان باذان عامل كسرى باليمن بعث الى كسرى
عيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن ومسكا وعنبرا وخرجين فيهما مناطق
محللة . فاغار عليها بنو حنظلة بن يربوع وغيرهم وقتلوا من فيها
من بني جميد .

وفي رواية اخرى ان كسرى بعث الى عامله باليمن بعير تحمل

والقرنفل وعود الندو والصندل ولم ينقلها الصينيون رأساً الى خليج فارس
ولم يتمكن الفرس بتأمن ان يمدوا سيطرتهم على الطريق الثانية الى
الغرب وهي طريق البحر القازم . وقد زار سفير الصين في القرن
الخامس طيسفون عاصمة بلاد فارس وقال عنها : فيها ١٠٠ ، ٠٠٠
دار واقعة في سهل منبسطة من الارض ومن حاصلاتها الذهب والفضة
والمرجان والكهرباء والالآء الثمينة وفيها اوان من خزف وزجاج
وبلور والماس وحديد نحاس وزنجفر وزئبق واقمشة ملونه ومنسوجات
مطرزة واقمشة من قطن وسجاد وفرش .

وقد حذا الفرس حذو البابليين في اتخاذ مجارى الانهر لنقل
الصنائع والتجارات فركبوا سفنهم في دجلة والفرات وانحدروا
الى دجلة العورا اوشط العرب ومنه الى خليج فارس فتشطت
طائفة منها سواحل بلاد العرب وطافت حول الجزيرة
وصرت بالبحرين ونزلت الى بحر الهند فارست في عدن وهي يومئذ
مرفأً مراكب الهند والتجار يجتمعون اليه . وطائفة تشطت
سواحل بلاد فارس وكلها حاملة انواع السلع منها من العراق ومنها
اليها من بلاد سورية وبلاد الروم واليونان . كالحديد والنحاس

سايكس في كتابه تاريخ فارس: ان انوشروان قد سهر على اعظم اسباب رقى
التجارة واستحضر كميات وافرة من العدة لاصلاح الجسور وتنظيم
الطرق . واصلح طرق الجباية ووضع لها الوضائع بقدر ما كان
فيه صلاح الرعية ورفاعة عيشهم فقوى الناس في ثروتهم .

وقد عرف الملوك الساسانيون ان لا قدرة لهم على مزاحمة
الرومانيين والاضرار بهم ان لم يقطعوا عليهم طرق التجارة مع الشرق
الاقصى . فالفرس الذين يعتبرهم العالم ان لا معرفة لهم بالملاحة
حاولوا ان يقبضوا على تجارة الشرق والغرب بايد من حديد
ولكن مهما بذلوا من الجهد فانهم لم يتمكنوا من الوصول الى طريقهم
المنشودة . وغاية ما توصلوا اليه انهم حكموا على احد الطريقين
البحريين اللذين يجمعان الهند الى الغرب بخليج فارس . (اى
بحر الهند وبحر القلزم) وبقيت السيادة لهم على بحر الهند فقط
سيادة مطلقة حتى ان سكان الهند وسكان الخيرة لم يجدوا غير هذه
الطريق فكانت مراكب الفرس والهند والعرب تذهب الى
جزيرة سرنديب (سيلان) ومن هناك يشترون البضاعات التي
ترد من الصين فى الجنوكة (وهى مراكب الصين) كالحرير

فأصبحت هذه الطريق السياسية والتجارية والحربية احدثه المؤرخين القدماء وكان لها شأن عظيم في عيون اليونان وقد رسموها في مصوراتهم وكان للفرس غيرها من الطرق التجارية ومنها المؤدية من اكبانا (همدان) الى العراق وقد عرفها جغرافيو العرب بطريق الجبال. وقد كان الفرس على جانب عظيم من حب الزهو والنفطسة والتفنن في الاثاث والرياش والميل الى التزين بالحلي. ودام هذا التألق الى اليوم. وعند ما فتح العرب المدائن وجدوا فيها من طرق الصناعة ما يحير الالباب ومن جملة غنائمهم اثم عثروا على صندوق ظاهره وباطنه بالديباج المذهب وفي داخله بساط كسرى كله ذهب منسوج بالحرير منظوم بالدر واليواقيت الملونة والمعادن والجواهر المشتمة والزمرد وكان طوله ستين ذراعا قطعة واحدة في جانب منه كالصور وفي جانب كالشجر والرياح والازهار وفي جانب كالارض وقد اهتم الساسانيون بحفر الترع وكري الأنهر وقد قام بشيء عظيم من تلك الاعمال كسرى انوشروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) فانه اشتهر بترقية الزراعة وتمهيد طرق التجارة وتحسين مالية الدولة وانما ثروة الاهلين واصلاح المسابرة ورم الجسور. وقد قال عنه الكولونيل

في الهند تركت اتخاذ المسكوكات من معدن الالكتروم Electrum ،
وشرعت تضرب نقودها من معدنين الذهب والفضة وحدثت حدو
ليديه في مزجهما بنسبة $\frac{1}{13}$ الى $\frac{1}{10}$. وبقيت تعمل على هذا
الاسلوب زهاء قرنين حتى انقرضت السلالة الكيانية .

وقد كانت المسكوكات الفارسية الذهبية تصرف في بلاد اليونان
وكان سعرها يتراوح بين ارتفاع وهبوط كاسعار البضاعات الا ان
المستشرق الشهير ثيودور ريناخ يذهب الى ان اسعارها كانت
تعادل المعدل القانوني المرعى في بلاد فارس .

ولم يفضل الرجل المنظم عن تمهيد السبل للمسافرين ولنقل السلع
في اقطار مملكته المترامية الاطراف بل فتح الطريق الملكية العظمى
بين سرديس وشوشن وكانت الشقة بين الاقليمين نحو ١٠٥٠٠ ميل
فقوم عوجها واصلح اخا ديدها ودفن حفرها واخفض مرتفعاتها

Electrum . مزيج من المعادن بنسبة $\frac{9}{10}$ في المائة من

الذهب و $\frac{1}{10}$ في المائة من الفضة والباقى من النحاس كان يتخذ
لضرب النقود . وكان هذا المعدن طبيعياً على رأى بعضهم ومزيجاً
مزجه ايدى البشر على رأى الاخيرين .

تجارة بابل اتساعا واوجدت مرافق جديدة للارتزاق وفتحوا ابوابا واسعة لمبادلة البضائع والعروض . وقد بلغت المملكة في عهد دارا (٥٢١-٤٨٥ ق م) شرفات العز واضحت بعيدة الاكفاف مترامية الاطراف تمتد الى البحر الاسود وجبال قوقاس وبحر قزوين وبحر الهند ومن بحر الهند الى البحر المتوسط وصحراء افريقية . ويخفق لواؤها على امصار كثيرة واقاليم مختلفة المواقع متباينة الغلات والفواكه متضاربة الصنائع يجد فيها التاجر مضارا واسعا لاستثمار راس ماله وينقل بضائعه من قطر الى آخر في اغلب اقطار العالم المتمدن يومئذ .

وكانت ميزانية مالية الدولة الفارسية في ذلك العهد ٣٠٣١١٠٩٩٧ ليرة استرلينية واذا قابلنا قيمة هذا الدخل نسبة الى قيمة النقد اليوم بلغ ستة وعشرين مليون ليرة استرلينية .

هذا فضلا عما كانت تدفعه كل دهمانية من الغلات والعروض حسب الاتفاق الموقع عليه بينها وبين الحكومة .

ولما اوضحت مملكة فارس في عهد دارا سيدة مناجم الذهب

المهن الصورية والاعتناء بالزراعة والفلاحة والرغبة في الفتوحات
وتدوين الممالك . فاذا بدت لك هذه الاحوال في احد الاقطار
فقل ان التجارة زاهية والسوق رائجة وانت مصيب في رأيك
صادق في قولك وان لم يكن بين يديك جداول رسمية وتقويم
سنوية واحصاء مدقن .

بلغت هذه العوامل اشدها في مملكة الفرس على اختلاف
سلالات الملوك الذين تسنموا عرش دولة مازى وعيلام وفارس
واستولوا على العراق منذ انقراض دولة بابل حتى الفتوح الاسلامي
فلا نركب شططا اذا قلنا ان التجارة كانت في هذه الحقبة زاهية
زاهرة في العراق بالنسبة الى تلك العصور المتوغلة في القدم .

حمل كورش على بابل سنة ٥٣٨ ق م حملة شعواء وضر بها ضربة قضت على
كيانها . ومن ظنيات المؤرخين ان الباعث على تلك الحملة طمع قام في نفس
الفاتح سابقه الى الاستيلاء على بابل لما راى من خصها ما يحير الالباب
وشاهد نزوع سكانها الى التجارة ومزاولة البيع والشراء . دخل
كورش بابل وجامل الاهالى وحافظ على عادات القوم واميالهم
ونشط تجارتهم ونهج خلفاء كورش نهجه في الفتوحات التي زادت

وقد ذكر لهم هذه الفضيلة المؤرخون القدماء نخص بالذكر منهم
يقولا دمشق . ولما كان الصدق في الاقوال والامانة في الاعمال
من اخص فضائل التاجر وخير الوسائل لنجاحه وفلاحه فقد راجت
لذلك تجارة البابليين في العالم وانتشرت بضاعتهم في اسواق الدنيا .
ورغب في ابتاعها الناس من الاصقاع البعيدة .
هذا برض من عد من تاريخ التجارة في بابل ونرجو ان تتوالى
الاكتشافات في هذه الديار ونطعم على اخبار تمدن تلك الامة
بحدافيره .

§ § §

تجارة العراق

في عهد الماذهيين والفرس

لاشئ يدل على اتساع نطاق التجارة في مملكة من الممالك
وانتشار اعمالها بين ظهري القوم مثل اتقان الصنائع العملية واحكام

وكان هذا المعهد يقرض المبالغ الجزيلة والطفيفة وله حسابات مع اقطاب المملكة و سواد الامة ويتقاضى الضرائب لحساب الحكومة . ويشهد على العقود التي تتم بين متعاقدين او متعاقدين ويبيع بالنسيئة ويحول التحويل من مدينة الى اخرى ويضم الربا الى راس المال ان لم يقيم المديون بوفاء دينه .

كان التاجر عند تلاك الامة البائدة رفيع المنزلة على المقام له يد في ادارة شؤون المملكة وكتابة راجحة في تدير امورها واحوال حروبها .

وقد سن المشترعون شرائع لكل اعمال التجارة والملاحة ووضعوا القوانين لصيانة حقوق المتاجرين منها شرائع للبيع والشراء والعقود ، والملاحة والقوافل واجور الحيوانات والعمال مما لا يمكن من الاسهاب فيه في هذا المقام .

ومما هو حرى بالذكر ان اليهود الذين جلاهم ملوك البابليين من السامرة وبلاد فلسطين ، اسما في هذه الديار بيوتاً تجارية جرت شوطاً بعيداً في اقتصاديات هذا القطر في عهده البائد .

وكان البابليون على جانب عظيم من النزاهة في اعمالهم وتجارتهم

اليجيبي واولاده الذي وجد في بابل في القرن السابع قبل المسيح،
وقد عثر لأول مرة سنة ١٨٧٤ احد الاعراب في اطلال «الجمجمة»
قرب الحلة على جرار عديدة من الطين المشوى قد صانها ايدي
الزمان من طوارق الحدثان فوجد في داخلها عدداً من صفائح الآجر
منقوشة عليها خطوط وباعها في بغداد لاحد تجار العاديات وكان
يومئذ في حاضرتنا الأثرى الشهير جورج سميث الانكليزي فابتاعها
من المراقى لدار التحف البريطانية . وكان عددها نحو ٣٠٠٠. آجرة
وبعد ان فحصها وجدها سلسلة تاريخية ثمينة وهى صور معاملات
وعقود تجارية ومالية وسفائح وسندات تخص المعهد التجارى
اليجيبي واولاده .

ويظن المستر دلج الالماني ان اسم اليجيبي هو تصحيف اسم
يعقوب العبرى وان صاحب هذا البيت التجارى كان يهوديا من
الاسرى الذين جاء بهم سرجون الملك من السامرة الى بابل .
وقد اشتغل هذا البيت التجارى اربعة قرون متوالية من عهد
الملك سنحاريب سنة ٦٨٥ قبل المسيح حتى فتح اسکندر الكبير
المقدونى بلاد بابل .

حتى عهد اليونان . ونجبرنا احد المؤرخين ان السفن التي كانت تأتي
من شاطئ خليج فارس العربي كانت تشق عباب الماء وتصل حتى
اوپي (وقد قال بعضهم ان اوپي هي القادسية قرب نهر دجيل ،
وقال غيرهم انها باحشا) وقد امن نبوكدراصر طريق البرالفصير
الواقع في جنوبي بابل الصعب الاجتياز الممتد من سورية الى بابل
على طريق تدمر .

وكانت التجارة العالمية في هذا العهد قد تركزت في بابل .
واضحت حاضرتها سوقا عظيمة لبيع بضاعات العالم .

ولابد من سؤال هنا وهو كيف كان يتعامل البابليون وكيف
كانت نقودهم وكيف كانوا ينقلون اثمان البضاعات من مدينة الى
اخرى ومن صقع الى ثان . فاجيب لم تعرف النقود في بابل وقد
كانوا في اول عهدهم يقايضون بضاعتهم مفايضة ثم اتخذوا المعادن
كالذهب والفضة والنحاس اسما لمعاملاتهم . وكانوا يدفعون اثمان
سلعهم وديونهم قطعاً موزونة وليس سكة مضروبة . وكان
الشاقل عندهم وحدة الموزونات وكان عندهم البنوك والصارفة واقدم
مصرف عرف في العالم طرا من مشارق الارض الى مغاربها مصرف

وبلاد العرب وسورية وافريقية ورومية .

وكانت سوق النخاسة والمتاجرة بالعبد والرقيق رائجة في بابل

فكان النحاسون يسيرون الى الحبشة ليظفروا ببضاعتهم الحية

الحساسة العاقلة ويرجعون بقوافل العبيد الجرارة وكان من عادتهم

ان يعلقوا برقاب عبيدهم قطعاً من الحديد او من الطين المشوى قد

نقش عليها اسمائهم . وكذلك كان يعمل المولى بعبده .

ولم يتفرد الرجال بالاشغال وحدهم بل كانت الباليات

يساعدن رجالهن في البيع والشراء ويعقدن العقود والقروض

ويشترين الاراضي والحقول . وكانت نساء العامة يشتغلن مع ازواجهن

في الدكاكين والمجازن .

وعندما استولى نبوكدر اصر على صور في سنة ٥٧٢ ق م

استتبت احوال التجارة واتسع نطاقها اى اتسع . فكانت تمتد من البحر

الاحمر وبلاد العرب الى خليج فارس ونهر الفرات . والتاريخ

البابلي واليوناني مضمع بالشواهد على ذلك . فان ه ذا الملك طهر

مصبي الرافدين الذين يبعثان بمياههما الى خليج فارس وعمق

قنواتهما وجعلها جديرة بالملاحة تدخلها السفن البحرية وبقي ذلك

الى بابل من جزيرة تيلوس (البحرين) نوع من الخيزران يتخذونه عصياً يحملونها بايديهم كما يفعل الاوريون اليوم . وكان البابليون ينقلون خشب الارز من لبنان لبناء هياكلهم .

والفت انظاركم هنا الى تجارة الارمين وامتدادها من بلاد سورية الى بابل وآثور في الالف الثانى قبل المسيح . فاهم في ذلك العهد ورثوا الحثيين في البلاد الواقعة في اعلى الفرات وهى ملتقى الطرق التجارية المختلفة من سورية وآسية الصغرى وارمينية وبابل وتقدموا رويداً رويداً حتى استولوا على الشام مستودع تجارة بلاد العرب . واكبر دليل على اتساع تجارتهم انتشار لغتهم انتشاراً عجيباً حتى اضحت شبيهة باللغة الفرنسية في آسية الغربية على حد ماجاء تشبيهها في احد الكتب الانكليزية .

وكان اهل بابل يتكلمونها في حياتهم اليومية منذ القرن الحادى عشر حتى القرن التاسع قبل المسيح . وكان المصريون في القرن الخامس عشر قد اتخذوها لهم لغة تجارية .

وعليه فقد تاجر البابليون مع بلاد فارس وارمينية والهند ومصر

والقطن والكتان من صنع معاملها وقد كسبت صناعاتها صيتاً بعيداً في اقطار
العالم وقد جاء ذكرها في سفر يشوع وعرفها شعراء اللاتين وتبسط
في ذكرها هيرودوت وبلينيوس. وكان غواة الصناعة البابلية والمغرمون بها
يتعاونون من طرفها بأمان كثيرة . فقد ابتاع ملتوس شيون
متكاثلاً ثانياً بقيمة تساوى اليوم ٣٣٥٠٠ ليرة انكليزية. ومن معمولات
بابل الاسلحة والآثا والجواهر والتعاويد والاسطوانات المحفورة
المتخذة خواتم وقد اشتهر معمل بورسيبا في نسج الكتان وذكره
استرابون كما اشتهر السجاد البابل في العالم القديم وورد ذكره في
مؤلفات اليونان القدماء. اما البضائع والعروض التي كانت ترد الى بابل من
اقطار العالم فكثيرة مختلفة الأنواع ومتضاربة الاجناس نذكر منها ما وصل
اليها ذكره كانت تبعث اليها ارمينية بالشراب ؛ والهند بالجواهر
والاحجار الكريمة والكلاب الكبيرة التي كان يهتم البابليون بتربيتها
وكانوا قد ارسدوا لها اربعة احياء من احياء مدنهم لحفظها والاعتناء
بها في عهد السلالة الكيانية وكانت بلاد فارس ترسل اليها
منسوجات الصوف وبلاد العرب والحبشة العطور والتوابل
والذهب والعاج وخشب الابنوس والحجر البركاني . وكان يرد

العقود وكان اصحاب القوافل يركبون السفن من كركاميش في نهر
الفرات وينحدرون الى بابل .

وكانت على سواحل دجلة والفرات مستودعات شهيرة تأتي
اليها الامتعة والعروض والبضائع المختلفة التي ترد من خارج البلاد
بالسفن فتنقلها القوافل الى قلب البلاد البعيدة عن عدوات الرافدين .
وترجع حيوانات النقل محملة من حاصلات تلك الاراضي والبلاد
وتتاج صنائعها فتلقها في المستودعات لتشحن على السفن التي تمخر
عباب المياه . وكانت مدينة اور (وهي اطلال المكير اليوم) من
اعظم مدن بابل التجارية وبعدها شهرة وقد عرفت بتجارها البرية
والنهرية وتوسطها بين اسواق العالم القديم وقد اُبت رجال البحث
وجود العلائق التجارية والصلات الاقتصادية بين بابل والهند
منذ القرن السابع قبل المسيح والحق يقال ان ليس في ذلك عجباً اذ
ان حب الاسفار والتجارة من صفات الساميين الطبيعية واميالهم
الفطرية فاهم يقطعون الفيافي والقفار ويخوضون لجج البحور
والانهار للبيع والشراء .

كانت تصدر بابل الى اسواق العالم المتمدن منسوجات الصوف

والملاح ، وتوسط في ابتياع مآتى جبال كردستان وشحنها الى بابل
فتوسق على الاكلاك والسفن الرخام والحديد والرصاص والفضة
والانثيمون والذهب والقلاي فتحدر السفن في دجلة وتفضى الى
الفرات بالأمهر التي كانت تجمع بين الرافدين .

مهما نقل عن تجارة نينوى وعظمتها فأنها كانت احط منزلة واكل شأنها
من تجارة بابل التي فاقتها خطورة كما نشاهد اليوم تفوق تجارة
بغداد على تجارة الموصل . وقد وصلت ما وصلت اليه ارض الكلدان
من الخطورة في تاريخ التجارة لموقعها الجغرافي البديع فهي واقفة
في نقطة ملتقى آسية العليا وآسية السفلى قريبة من خليج فارس وبحر
الهند وبلاد عيلام وماذى . ولهذا اضحت منذ اوائل التاريخ
محط رحال قوافل الشرق والغرب ومجتمع الملاحين الذين كانوا
يقصدونها من اصقاع افريقية وبلاد العرب والهند . كما كانوا
يأتون اليها من الشام وبلاد فينيقية ويمرون بتدمر وبكركاميش وهي
اليوم جرابلس وكانت كركاميش معبدا وسوقا عظيمة . وكانت
المعابد الكبرى عند الامم القديمة ملتقى التجار ومجتمعاتهم يعقدون
فيها المعاهدات والعقود وكان لسدنتها نصيب من الرسوم على تلك

لهم اساطيل منيعة منذ القرن الثلاثين قبل المسيح وقد جاء في الأناج
المكتشفة حديثاً ان الملك جوديا الذي عاش في القرن الخامس والعشرين
قبل المسيح بعث باسطوله من مدينة سرپلا الى مدينة كوبي ونقل
منها صخوراً لبناء الهيكل . فرجعت السفن حاملة شيئاً كثيراً من
تلك الحجارة . وقد جالت في سفرتها في جزيرة العرب ومرت
بسواحل البحر الاحمر فبحر مارمرآو (وهو خليج فارس اليوم)
وافرغت حملها في سرپلا وهي اليوم اطلال تلوقرب الناصرية .
وعلى هذا الحادث قال المؤرخ الفرنسى نورمان : ان الشواهد
الحسية تضطرنا الى ان نستنتج ان التجارة والملاحة كانتا متسقتي النطاق
منذ عهد جوديا وتماثلان في اتساعهما الفنون الراقية التي كانت
منتشرة في بابل وقد اشار اشعيا [٤٣ : ١٣] الى الملاحة عند البابليين .
وكانت ينوى مركزاً تجارياً توارد اليها غلات سهول بين
النهرين وحاصلات بلاد بابل الحارة وثمار جبال كردستان وارمينية
وفواكه اصقاعها الباردة وما آتى اعلى الجزيرة المعتدلة الهواء .
وكانت بلاد آثور تصدر الى بابل من معادنها ومستخرجات مناجمها
انواعاً مختلفة من المواد كالغاز والنفط والزيت الجبرى والشب

واقعة في سهل مطمئن من الارض وقد اسندت راسها الى جبال
ارمينية تستمد منها ينابيع الثروة ومصادر الخصب فتعم عليها بمياه
نيرة تحول فقارها الى جنان فيحاء ومفاوزها الى رياض غناء .
وقد اضحى خصب بابل وآثور احدثثة الشعوب والقبائل
منذ الاعصر التاريخية ومطمع انظار المصريين ومطمح نفوس الفاتحين
كما ان هذه الارعاء كانت مهد الصناعة ومصدر الحرف المختلفة .
وكان سكانها على جانب عظيم من حب الزهو والتأنق في المأكل
والمشرب والزخرف في اللباس والتفنن في تشييد الهياكل وتزويق
الصروح . تأخت كل تلك الدواعي لتجعل بابل ام تجارة العالم كما انها
كانت ام حضارته . فصرف البابليون عنايتهم الى مبادلة غلات اراضيهم
وبنتاج صنائعهم وابتاع ما ينقصهم من دواعي الزهو والزخرف
والعروض والامتعة من البلاد النائية والاصقاع البعيدة .
كان البابليون ينقلون بضائعهم في البر على الحمير والبغال والابل
وربما نقلوها على العجلات وكانوا ينقلونها في النهر على الاكلاك والسفن .
ولم تقف همهم القعساء عند الملاحة في انهر بابل الهادئة بل خاضوا
البحار وركبوا متون امواجها المعجاجة غير هياني الاخطار وكان

من صنائع بلادهم النفيسة من اوانى الشبه وغيرها شيئاً كثيراً وقد ذهب احد المؤرخين الى ان مهد الفينيقين كان على شواطىء خليج فارس وقد ظنوا منذ اعصر متوغلة في القدم الى بحر الروم (البحر المتوسط) وكانوا بعد نهضتهم يأتون من حين الى آخر بسفنهم الى بحر فارس للمتاجرة ولكن ذلك لا يرى يحتاج الى التمهيص والتحقيق ولم يبت فيه العلماء المدققون .

تجارة العراق

في عهد الآثوريين والبابليين

ان ذكر بابل وآثور يقيم في ذهن المرء صورة العمران والحضارة والحضب والغنى . افتحوا التاريخ تشاهدوا فيه من امارات الرقى ودلائل المدنية مالا يصدق وجوده في تينك المملكتين المتوغلتين في القدم الا انكم لا تقوون على انكاره عند ايراد البينات النواصع والحجج اللوامع فقد تضافرت الاسباب الطبيعية وتأصرت الملل الجغرافية على رفع هذه الارحاء الى ذرى المجد والعلى . فهى

بالريق ويتعاطون النخاسة. ويتاجرون بما كان من حاجيات ذلك الزمان الغابر
وكالياته. والامر الذي يهمننا الان من تجارة الفنيقيين علاقتهم الاقتصادية
بجزيرة العرب والعراق . فتترك البحث الى المحاضرة الآتية
عن جزيرة العرب ونبحث الآن عن علاقتهم بآثور وبابل .

كانت قوافل الفنيقيين تحط رحالها في بلاد آثور وبابل وتبتاع
منها نفائس المصنوعات لاسيما الاقشعة الثمينة البديعة النقش الجميلة
التطريز . وكان الفنيقيون يبالغون في حفظها فيودعونها صناديق من
خشب الارز التي كانوا يأتون بها من لبنان . فكان يبعون من تلك
البضاعات ما يتسنى لهم يبعه في بلادهم ، وينقلون النفائس الى بلاد
اليونان . ومما لامرية فيه ان الاسطوانات المصنوعة من البلور
الحجري واليشب وحجر الدم وحجر الصابون « الشحم الحجري »
(وهو نوع من الحجر يستعمله الخياطون للتعليم على الثياب) كانت
تنقل الى فينيقية ومن هناك الى جزيرة قبرس حيث كانت سوقها رائجة
عند الجالية الفينيقية .

ومن ظنيات المؤرخين ان الفنيقيين كانوا يأتون الى آثور وبابل
بالقصدير الذي كان يدخل في تركيب الشبه (البرنز) وكانوا ينقلون الى آثور

والديار المتباينة حاملة المتاجر المتضاربة الأنواع وقد جاء وصف
تجارة صور وصفاً دقيقاً مسهباً في الفصل السابع والعشرين من
كتاب حزقيال النبي الذي عاش في القرن السادس قبل المسيح .
ومن نظر نظرية اجمال الى هذا الفصل يتحقق ان الفينيقيين
تاجروا برأ مع كل مدن آسية الغربية ودولها العظيمة . فأنهم تعاملوا
مع سورية الشمالية وبلاد الشام واليهودية وبلاد اسرائيل وبلاد
العرب وبابل وآثور واعالى الجزيرة (وعلى الخصوص مع حاضرتها
حوران) وارمينية واواسط آسية الصغرى وحمص كما أنهم تاجروا بجزراً
مع بلاد يونيا وقبرس واليونان وترشيش (اسبانية) (يطلق هذا الاسم
على بقعة الوادى الكبير)

ولا يسعنا ان نسهب الكلام عن التجارات التي كانت تبادلها
كل تلك الشعوب مع الفينيقيين وفيها المعادن الثمينة والحجارة الكريمة
والاقمشة المطرزة والمزركشة ، وآنية نحاس ، وادوات الحرب من
آراس ، وخوذ ، وسيوف صقيلة ، وعطور ، ونوافج طيب ، ولبان ومصر ،
وعاج ، وخشب ارز ، وآبنوس ، وصوف ، وكتان ، وفرش ، وخزف ،
وحنطة ، وعسل ، وزيت ، وخنمر . وغيرها فغيرها . وكانوا يتاجرون

﴿ الفينيقيون ﴾

كانت ملاحه الفينيقيين محصورة في القرون الاولى في حدود البحر المتوسط ، وبحر مرمرها وبحر نيطش (البحر الاسود) في البحار التي تكتنفها الاراضي وليس فيها مد ولا تهبج مثل البحار العظيمة ولكنهم قبل عهد سليمان الحكيم اجتازوا خليج الزقاق وهو مضيق جبل طارق حيث تشاهد اعمدة هرقل اقتحموا مخاطر الاوقيانوس الاطلانتيكي (بحر الظلمات) وتشططت سفنهم سواحل افريقية الغربية من جهة الجنوب وتشططت سواحل اسبانية من جهة الشمال . وتوغلت في البحار ونحرت عباب جون بسكاي (خليج وشكنس) ومررت براس منتهى الارض وعبرت البوغاز الانكليزي حتى كاستريد جزائر القصديروانهم لم يجمعوا عن الوصول من سواحل افريقية الغربية الى جزائر كناريا (الجزائر الحالدات) وربما امننت بعض سفنهم في السير في الجنوب والقت مرسهاها في اصورة وماديرة وجزائر الراس الاخضر في شمالي سواحل هولاندة وكما كانت سفنهم تقتحم المخاطر في سبيل التجارة في البحار والحاجان . وكانت قوافلهم العظيمة تقطع الابعاد وتسير في الامصار المختلفة

الشقيقتين وقسم منها يبعث به الاتجار . ومما يؤيد هذا الراى ان احد ملوك بابل احتج على فرعون لان احد تجار رعاياه نهب فى ارض الفراعنة وسلبت منه بضاعاه .

وقد كانت الطرق التجارية والسياسية والحربية المصرية عديدة منها يقطعونها بالمياه نهراً او بحراً ومنها برآ . وكانت تجاراتهم الداخلية والخارجية رائجة كل الرواج فى تلك الاعصر السحيقة . فكانوا يتعاملون مع الدول المتاخمة بلادهم كالعرب والفينيقيين واليهود . ومع بلاد الحبشة والسودان والى الجنوب صعدا فى النيل مع يبو (اى اليفاتين او جزيرة العاج) واسوان وفيها كانوا يتعاملون مع البرابرة . وكانت قوافلهم تبلغ الواحة الغربية مارة بالفيوم وممنف اوباسيوط الحالية او بغيرها من فرض النيل . وكان يأتى من سورية الى مصر خزف ومعمولات معدنية ومراهم للتحنيط وزيت وخر وثياب صوف ومطرزات .

التشابه بين القطرين من الوجهة الاقتصادية اضحى اليوم روابط قوية وثيقة العرى مجدولة القوى وعصية عربية تجمع القومين جمعاً موثق الوصال وان صلة مصر التجارية ببابل قديمة العهد ترتقى الى القرن الخامس عشر قبل المسيح فقد جاء في الرسائل المكتشفة في تل العمارنة ان العلاقات التجارية بين القطرين على طريق سورية كانت زاهية زاهرة منذ ذلك الحين وكان بين الفراعنة وملوك بابل عهداً لتبادل البضاعات والمعادن وتاج بلادها الواسعة الارحاء .

فكانت ترسل بلاد النيل الى بلاد الرافدين الذهب (وكان الذهب موجوداً في شرقي مصر وفي الحبشة) والخشب المنقوش والنصور الذهبية والخشبية والزيت وكانت بابل ترسل اليها بالذهب المصنوع والحجارة الكريمة والميناء والجلود ومجالات الخشب والحيل واللازورد (اللازورد معدن مشهور يتولد بجبال ارمينية وفارس واجوده الشفاف الازرق الضارب الى حمرة وخضرة وقوته كقوة لزاق الذهب واضعف يسيرا يتخذ للحلى وله منافع في الطب) كان قدم من هذه البضاعات والتحف يتهداه ملوك القطرين

لأنه يخرجنا عن غاية المحاضرة التي جل قصدنا منها ان نتابع تاريخ
هذا المرفق عند الشرقيين بنوع عام وعند العراقيين بنوع خاص .
قد اشتهر بالتجارة من الشعوب الشرقية المصريون والعرب
والكلدان والفينيقيون والاسرائيليون .

ولنقل كلمة عن التجارة عند المصريين والفينيقيين قبلما ننقل
لما لها من العلاقة بتجارة العراق . وتترك البحث عن التجارة عند
اجدادنا العرب الى المحاضرة الثانية بقصد ان نفي الموضوع حقه
من الاسهاب لما له من الخطورة والشأن .

§ § §

﴿ المصريون ﴾

مصر الفراغة وبابل الكلدان شقيقتان في الحضارة وال عمران
ودلتا النيل ومدالك دجلة والفرات تتشابه في الحصب وكل مرافق
الارتزاق . والبحر الاحمر وخليج فارس مياه للملاحة وطرق
السفن التي تحمل التجارات من البلاد اليها وما كان في الامس من

وجعلت بعض البقاع من الارضين مروجاً نضرة وحقولا
زاهرة وكستها بساط زمردى فالتجعتها الماشية وارتادتها السائمة.
واجرت في بعض الديار امهارة وشطوطا ، واسالت فيها المياه
العذبة فاروت مزارعها واخصبت ارضها واتخذ الناس تلك المجارى
طرقاً طبيعية للملاحة والتجارة . واستفاد السكان من اماكنها
وحياتها .

وقد اودعت الطبيعة بطن بعض الاراضى كنوزاً من المعادن
كالذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والبتروى (النفط)
والقار والاحجار الكريمة كاللؤلؤ والزمرد والزبرجد والياقوت
وغيرها .

ان هذا الاختلاف فى قوة انتاج الارض على اختلاف اقاليمها
وامصارها انشأ التجارة الخارجية .

وللتجارة مصدران لاثالث لهما (١) اختلاف قوة انتاج
الافراد (٢) اختلاف قوة انتاج الاراضى . وتدرجت التجارة
فى مدارج الكمال واتسع نطاقها فى المجتمع وحاجة الناس الى الكماليات .
وكثرة الاختراعات والاكتشافات وتقدم الصناعات واتقان
الادوات وليس من خطتنا فى هذا البحث طرق هذا الموضوع

ابتاع غلات الزارع المحتر . وقايضوه بسلمهم وصيدهم مقايضة سماح لان الطلب كان شديداً عليه والرغبة في الحصول على بره بلغت معظمها . وعلى هذا الاسلوب نشأت التجارة الداخلية في صدر زمن سبق عهد التاريخ .

ان احد رجال القبيلة ابتعد عن محط قومه وتوغل في البراري فافضى به سيره الى جنة فيها من كل فاكهة زوجان . فقطف من تلك الأثمار مالذ وطاب ورجع بها الى عشيرته . فاستهواهم منظرها ولذهم مطعمها . فاستطعموا منها فرفض الا ان يدفعوا اليه عنها بديلا فرفضوا للشرط وقايضوه عوض الفاكهة من صيد البر وجلود الحيوانات ما قابل ثمن أثماره . فاخذها ورجع بها الى موطن الأثمار وقال للقبيلة الساكنة هناك خذوا مني هذه الطيور والجلود واعطوني من نتاج اشجاركم ففعلوا راضين .

ومن المقرر ان الطبيعة قد خصت كل اقليم من اقاليم البلاد بميزات لم تجد بها على غيره من الاقطار . فخصت قطراً بالغابات والاحراج فأبنت فيه اشجاراً باسقة كثيرة الاغصان ، غليظة الاجذال ، كثيفة الظل فاضحي مأوى السباع وموطن الحيوانات الجارحة .

شاكراً ثقته بي . مقرأ بفضل اللجنة التأسيسية التي بذلت جهودها
لانشاء هذا المعهد الذي كانت بغداد في اشد الحاجة اليه في ابان
النهضة العربية العامة والعراقية منها خاصة .

[١ : منشأ التجارة]

التجارة وليدة الطبيعة . من نظامها نشأت ومن مصدرها
انبثقت وتدرجت في مراقى الكمال بتدرج المجتمع البشرى في
محجة الرقى ، وتقدمه في طريق الحضارة والعمران .
فاض عند الصياد كمية من السمك وكان في حاجة الى قمح يخبزه
خبزاً فقَالَ للزارع هل تقايض سمكى بقمحك . فجزت بينهما تلك
المبادلة التي دعتهما اليها الحاجة والحاجة ام الاختراع . وقايض غيرهما
غير ذلك .

وكانت سنة من السنين امتازت بالرشاء وكثرة الغلات ففرض
الزارع حنطته وشعيروه للمقايضة فلم يجد من يبادلُه غلاته كلها فبار
عنده شئ غير يسير منها . وما كان دور الرشاء الا عهداً قصيراً
فباغتت الناس سنة عصيبة وحل الجذب محل الحصب . فاقبلوا على

—o— المحاضرة الاولى —o—

(تمهيد : كلمة في منشأ التجارة - التجارة عند)

(المصريين القدماء - عند الفينيقين)

(في عهد الآثوريين والبابليين)

(في عهد الماذهين)

(والساسانيين)

﴿ تمهيد ﴾

سادتي

اود ان اصدر محاضرتي بكامة عن منشأ التجارة في المجتمع
البشرى وتدرجها في اطوارها الاولى . واشفعها بنظرة عامة موجزة
في سيرها بين الامم ، والشعوب الشرقية القديمة غير النى لها صلة
بالعراق واعدود فاعالج الموضوع واتوسع في كلياته وجزئياته واسهب
في الكلام في تاريخ التجارة عند البابليين والاثوريين ثم عند
الفرس في عهد السلالة الكيانية والساسانية فيتم قوام الحلقة الاولى
من سلسلة المحاضرات في التجارة . تلك المحاضرات النى رغب الى
حضرة معتمد المعهد العلمى ان اقوم بالقائها هنا . وليت طلبه

﴿ كلمة الى القراء ﴾

هذه مجموعة المحاضرات التي أقيمت في «المعهد العلمي» في بغداد
في ربيع هذه السنة . نشرت تباعاً في جريدة العراق البغدادية
القراء ما عدا (المحاضرة الأخيرة) ونقشها جريدة « الاحوال »
البيروتية . رأيت طلبها في كتاب على حدة خدمة لمن يعنون بهذه
الابحاث والله ولي التوفيق .

ي . غنيمه

بغداد في ٢٥ ايلول ١٩٢٢

١٢٧٠
٥٣٥
١٩٢٢
١١٢١١

✧ ازهار وأمار ✧

مقالات وكلمات ادبية اخلاقية (تظهر قريباً)

✧ نشر الدفين في مذاهب اللادريين والشويين ✧

(لا يزال مخطوطاً)

✧ تآلف اخرى ✧

لصاحب هذا الكتاب

(برديسان والبرديصاية) رسالة طبعت في بيروت

مباحث عراقية

تتضمن مباحث مصورة في تاريخ العراق وجغرافيته واحواله

العمرانية - تحت الطبع -

سرها المشفق
في

تاريخ يهود العراق

(مصور)

تاريخ مطول ليهود العراق من اقدم الازمنة الى هذا اليوم (قيد الطبع)

تجارة العراق

قديمًا وحديثًا

— بحث تاريخي اقتصادي —

بقلم

يوسف رزق البغيمية

المضو في مجلدي الادارة والمدار في بغداد

الطبعة الاولى

مطبعة العراق في بغداد ١٩٢٢ — ١٣٤١

العراق

(جريدة يومية جامعة)

تعالج الموضوعات المختلفة من سياسة وادب واخلاق واجتماع
واقتصاد . غرضها الوحيد خدمة العرب عامة والعراقيين خاصة بما
يفيدهم في امورهم العمرانية وبث الافكار الحديثة بين ظهرانيهم
تنشر شعر اعظم شعراء العراق ويكتب فيها افضل الادباء

وغلة كتاب القطر .

العنوان : جريدة العراق : بغداد

نقود العراق

دائرة معارف صغيرة تبحث عن تاريخ العراق وجغرافيته
واحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والادبية مع
ملخص تاريخ العراق السنوي واهم الحوادث وجل الاخبار .
تصدره ادارة العراق في اول كل سنة ميلادية ويطلب منها

تجارة العراق

قديمًا وحديثًا
— بحث تاريخي اقتصادي —

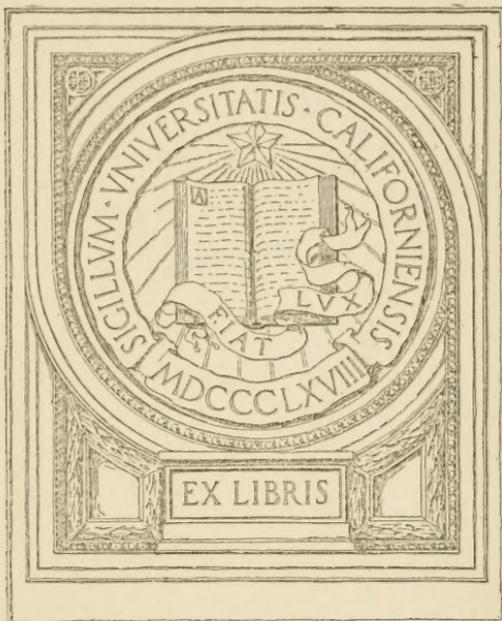
قلم
يوسف ريق البغدادي

المضوفى مجلسى الادارة والمعارف فى بغداد

الطبعة الاولى

طبعة العراق فى بغداد ١٩٢٢ — ١٣٤١

GIFT OF
HORACE W. CARPENTIER



707E
G-411

